أساليب القرآن في الدعوة إلى توحيد الألوهية وتطبيقاتها المعاصرة

دراسة دعوية

د. فهد بن محمد بن فرحان الوهبي *

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [النساء/١]، (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) [آل عمران/١٠٢]، (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)[الأحزاب/٧٠، ٧١].

إن الناظر في واقع بعض الدول الإسلامية اليوم يُدهَش عندما يلاحظ أن بعض مظاهر الشرك قد شاعت لدى الناس في هذا الزمان وانتشرت، خاصة بعض المظاهر المناقضة لتوحيد الألوهية .

فتجد بعض الناس يستعينون بالمشايخ والأنبياء، والأئمة والشهداء، والأولياء والصالحين، فينادونها، ويصرخون بأسمائها، ويسألونها أو يطلبون منها قضاء الحاجات وتحقيق المطالب، وينذرون لها، ويقربون لها قرابين لتسعفهم بحاجاتهم، وتقضي مآربهم(١).

---

* دكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٣٦هـ

ودفاعًا عن التوحيد قامت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وكان في نجدٍ من مظاهر الشرك وعبادة الأشجار والأحجار وانتشار السحرة والكهنة ما الله به عليم، فلمَّا وفق الله تعالى الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، للتحالف في ذلك اللقاء التاريخي مع محمد بن سعود رحمه الله أمير الدرعية، الذي ناصر دعوة التوحيد، فتبايع الأمير والشيخ في عام ١١٥٧هـ على نصرة التوحيد، وإقامة الشريعة، وتحقيق الأمر الإلهي بإزالة الشرك، فاتسع نفوذ تلك القرية وقويت تلك الدولة.

قال ابن غنام(٢) في تاريخه: «خرج الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومعه عثمان بن معمر وكثير من جماعتهم إلى الأماكن التي فيها الأشجار التي يعظمها عامة الناس والقباب وأبنية القبور، فقطعوا الأشجار وهدموا المشاهد والقبور، وعدلوها على السنة، وكان الشيخ هو الذي هدم قبة زيد بن الخطاب بيده»(٣).

وكاتب العلماء، وهكذا أجاب كثيرون، وأُلفت الكتب دفاعًا عن التوحيد، وهكذا يكون هذا العمل أعظم القربات عند الله؛ لأنه الأصل الأصيل، لأنه الركن المكين، وحبل الله المتين، الذي من اعتصم به أي هذا التوحيد اهتدى، ومن دافع عنه رضي الله عنه، ومن بذل من أجله تقبل الله منه(٤).

وغير خافٍ على مَن عنده أدنى إلمام بعلم العقيدة ما لتوحيد الألوهية من الأهمية؛ فهو توحيد العبادةِ، والعبادةُ هي الغاية المرضية والمحبوبة لله ﷻ، وهي الغاية العظمى والمقصود الأسمى؛ فلأجلها خُلقت الجنة والنار، وقام سوق الجهاد بين المؤمنين والكفار، ولأجلها أنزلت الكتب، وأرسلت الرسل.

وكلما عظُم الأمر كثرت دلائل تقريره وتعددت أساليبها، قال ابن القيم(٥): «فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم»(٦)، ولذا تعددت أساليب القرآن في الدعوة إلى توحيد الألوهية، وهو موضوع هذا البحث المختصر.

أسباب اختيار البحث:

دفعني إلى تناول موضوع هذا البحث عدة أسباب؛ أبرزها:

١- دراسة أساليب القرآن في الدعوة إلى توحيد الألوهية دراسة دعوية، وإبراز تطبيقاتها المعاصرة.

٢- الحاجة الماسة إلى تمكين توحيد الألوهية في النفوس، وتفعيله اعتقادًا وممارسة ودعوة في واقعنا المعاصر.

٣- التواصي بالحق، والنصح للإسلام وأهله، والتبرئة للذمة، والذود عن الصواب، والإسهام في خدمة كتاب الله ﷻ، الذي هو من أعظم العبادات، وأقرب القربات.

أهمية البحث:

١- يتعلق موضوع البحث بالمصدر الأول من مصادر الدين الإسلامي؛ ألا وهو: القرآن الكريم.

٢- يتعلق البحث بأهم جانب من جوانب الدين الإسلامي، ألا وهو: توحيد الألوهية.

٣- الرغبة في بيان أهم أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى توحيد الألوهية وذكر تطبيقاتها المعاصرة.

٤- البحث في مثل هذه القضايا يساعد الباحث على تنمية ملكته العلمية, وتدريبه على تطبيق الأساليب القرآنية في الدعوة إلى الله ﷻ.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

١- بيان أساليب القرآن في الدعوة إلى توحيد الألوهية.

٢- بيان بعض التطبيقات المعاصرة لأساليب القرآن في الدعوة إلى توحيد الألوهية.

٣- الإسهام المرجو في تجديد دور الجامعات والمؤسسات في التفاعل مع قضايا الأمة المعاصرة ومحاولة إقالة عثراتها وسداد ثغورها بعونه تعالى.

الدراسات السابقة:

استطاع الباحث الوقوف على بعض الدراسات التي تناولت هذا الموضوع؛ وهي:

١- الأمثال في القرآن: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية، تحقيق: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، مكتبة الصحابة، طنطا، مصر، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

وقد اقتصر فيها الإمام ابن قيم الجوزية على أسلوب واحد فقط من أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى توحيد الألوهية، وهو أسلوب الأمثال القرآنية، التي ضربها الله تعالى للناس إقامة للحجة على استحقاقه تعالى وحده لجميع أنواع العبادة، وبطلان صرفها أو بعض منها إلى غيره عز وجل.

٢- التبيان في أقسام القرآن: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.

وهذه الدراسة، كسابقتها، اتجهت إلى أسلوب من أساليب القرآن في دعوة الناس إلى توحيد الألوهية، وصرفهم عن أنواع الشرك به سبحانه، وهذا الأسلوب هو أسلوب القسم والحلف، الذي استخدمه القرآن ليؤكد الحقيقة الساطعة الثابتة في نفوس الناس جميعًا، والمبثوثة دلائلها في الآفاق.

٣- مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة: محمد الغزالي، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط٦، ١٤٠٥ه.

تطرقت هذه الدراسة إلى آفاق الدعوة والدعاة، وأرشدتهم إلى أن يتبعوا أسلوب القرآن في الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك بالله تعالى، ولكنها اكتفت برصد بعض هذه الأساليب القرآنية.

٤- البراهين العقلية على وحدانية الرب ووجوه كماله: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٩هـ.

وفي هذه الرسالة يستعرض الشيخ السعدي بعضًا من الأدلة العقلية على

تفرد الله تعالى وحده بالألوهية واستحقاقه للعبادة دون سواه، غير أنها اقتصرت على بعض البراهين العقلية، دون التطرق إلى الأنواع الأخرى من الأساليب.

٥- منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام: د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

لعل هذه الدراسة من أقرب تلك الدراسات – على جلالة جميعها - إلى دراستنا هذه في استيعاب وجمع الأساليب القرآنية في الدعوة إلى توحيد الألوهية، والنهي عن الشرك فيه بجميع أنواعه وصوره ومظاهره، وإنما تختلف هذه الدراسة التي بين أيدينا عن دراسة الدكتور الرحيلي في جمعها بين الدراسة التأصيلية والتطبيقات العملية المعاصرة المخالفة أو المناقضة لتوحيد الألوهية.

٦- منهج القرآن والعلم في إثبات الألوهية: وهي رسالة ماجستير من إعداد الطالب/عبد الله بن عثمان الكوكي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٠٤هـ-١٤٠٥هـ. وهذه الرسالة قد تناولت بعض أساليب القرآن في إثبات توحيد الألوهية، ولكن هذا البحث زاد عليه في التطبيقات المعاصرة لهذه الأساليب.

منهج البحث:

من أجل تحقيق الأهداف المنشودة من هذا البحث اعتمدت على منهجين بحثيين هما منهج الاستقراء من أجل تقصي المادة العلمية المتعلقة بموضوع البحث، وكذلك المنهج التحليلي الاستنباطي، والمنهج التحليلي: هو الذي يستعمله الباحث للقيام بتحليل ما حصل عليه الباحث من المعلومات تحليلاً كميًّا أو تحليلاً كيفيًّا. وأما المنهج الاستنباطي هو المنهج الذي يقوم على دراسة النصوص بهدف استنباط واستخراج مبادئ عقدية مدعمة بالأدلة الواضحة، والحجة البالغة، والبراهين الدامغة. فوظيفة المنهج التحليلي تقوم على التفكيك وتحليل الاستنباطات إلى عناصرها الأولى، ووظيفة المنهج الاستنباطي تقوم

على التركيب، وتجميع ما تم الوصل إليه من نتائج واقعية، فأحدهما يحلل العناصر والآخر يعيد ترتيبها. وراعيت في كتابة البحث ما يلي:

١- أوثِّق الأقوال من مصادرها الأصلية.

٢- أبين الراجح من الأقوال، مع بيان سببه، وذكر ثمرة الخلاف إن وُجدت.

٣- الاعتماد على أمهات المصادر والمراجع الأصلية في التحرير والتوثيق والتخريج والجمع.

٤- أركز على موضوع البحث وأتجنب الاستطراد.

٥- أجتنب ذكر الأقوال الشاذة.

٦- ترقيم الآيات وبيان سورها مضبوطة بالشكل.

٧- أخرِّج الأحاديث من مصادرها الأصلية، مع إثبات الكتاب والباب والجزء والصفحة، وبيان ما ذكره أهل الشأن في درجتها، إن لم تكن في «الصحيحين» أو أحدهما، فإن كانت كذلك، فيُكتفى حينئذٍ بتخريجهما.

٨- أخرِّج الآثار من مصادرها الأصلية، مع الحكم عليها.

٩- توثيق المعاني من معاجم اللغة المعتمدة، وتكون بالمادة والجزء والصفحة.

١٠- أعتني بقواعد اللغة العربية والإملاء، وعلامات الترقيم، ومنها علامات التنصيص للآيات الكريمة وللأحاديث الشريفة، وللآثار ولأقوال العلماء، وتمييز العلامات أو الأقواس، فيكون لكل منها علامته الخاصة.

١١- أذكر في الخاتمة أهم النتائج والتوصيات في هذه الدراسة.

١٢- أُتبع الرسالة بالفهارس الفنية المتعارف عليها؛ وهي ما يلي:

أ) فهرس الآيات القرآنية.

ب) فهرس الأحاديث.

ج) فهرس الآثار.

د) فهرس الأعلام.

هـ) فهرس المراجع والمصادر.

و) فهرس الموضوعات.

خطة البحث:

يشتمل البحث على تمهيد وفصلين وخاتمة كما يلي:

تمهيد: تعريف الأسلوب القرآني، وتعريف توحيد الألوهية.

الفصل الأول: حصر بعض أساليب القرآن في الدعوة إلى توحيد الألوهية ويشتمل على ثمانية مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: إلزام المشركين باعترافهم بتوحيد الربوبية ليقروا بتوحيد الألوهية.

المبحث الثاني: الاحتجاج عليهم بعجز الآلهة التي يدعونها من دون الله ﷻ.

المبحث الثالث: تذكير المشركين بما يكمن في نفوسهم من التوحيد.

المبحث الرابع: الاستدلال على وجوب توحيده بصفات كماله، وتعدد نعمه على عباده، وانتفاء ذلك عن آلهة المشركين.

المبحث الخامس: الإخبار عن التعادي الحاصل بعد البعث.

المبحث السادس: بيان أن المشركين لا حجة ولا برهان لهم في شركهم.

المبحث السابع: بيان مصير الموحدين وعاقبتهم في الدنيا والآخرة.

المبحث الثامن: أسلوب ضرب المثل الدال على بطلان الشرك وسوء عاقبته.

الفصل الثاني: التطبيقات المعاصرة لأساليب القرآن في الدعوة لتوحيد الألوهية ويشتمل على مبحثين على النحو التالي:

المبحث الأول: وقوع الشرك في هذا العصر وصوره.

المبحث الثاني: التطبيقات المعاصرة لأساليب القرآن في الدعوة لتوحيد الألوهية.

الخاتمة: في نتائج البحث والتوصيات.

وقد عمدت في هذا البحث إلى لم شتات هذا الموضوع باختصار مع الحرص على عدم الإخلال بالموضوع قدر المستطاع، ولا يكلف الله نفسًا إلا

وسعها، وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه أجمعين.

التمهيد

١- تعريف الأسلوب:

أ- في اللغة: بضم الهمزة: هو السطر من النخيل، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب الطريق والوجهة والمذهب، يقال: سلكت أسلوب فلان في كذا أي: طريقته ومذهبه، والأسلوب: الفن يقال: أخذنا في أساليب من القول أي: فنون متنوعة منه، ويجمع على أساليب(٧).

ب- واصطلاحًا: هي الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه.وقيل: طابع الكلام وفنه الذي انفرد به المتكلم كذلك(٨).

٢- تعريف توحيد الألوهية:

التوحيد: مصدر وحَّد يوحد، توحيدًا، ومعناه التفرد، والانفراد(٩). وأما الألوهية فهي مأخوذة من آله، إلاهةً وألوهة، وهي العبادة، والجمع آلهة، والإله كل ما عبد بحق وهو الله ﷻ، أو بغير حق كالأصنام وغيرها مما يعبد من دون الله ﷻ(١٠).

وأما معنى توحيد الألوهية من حيث الشرع فالمراد به: إخلاص العبادة لله تعالى وحده لا شريك له.

والعبادة هي «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الباطنة والظاهرة»(١١)، فلا يُدعى إلا الله تعالى، ولا يستغاث إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يذبح إلا له، ولا يطاع إلا هو، ولا يرجى إلا هو... إلخ.

وهذا هو التوحيد الطلبي، وتوحيد القصد والإرادة، التوحيد العلمي الذي بينه جل وعلا في آيات كثيرة.

و«هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة قولاً وعملاً، ونفي العبادة عن كل من سوى الله تعالى كائنًا من كان»(١٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية(١٣): «التوحيد الذي جاء به الرسول ﷺ إنما

تضمَّن إثبات الإلهية لله وحده؛ بأن يشهد أن لا إله إلا هو، ولا يعبد إلا إياه، ولا يتوكَّل إلا عليه، ولا يُوالي إلا له، ولا يُعادى إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله. وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات...»(١٤).

الفصل الأول

حصر بعض أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى توحيد الألوهية

لما كان توحيد الألوهية هو مناط الإيمان بالله ﷻ ورسله عليهم السلام، ولأن الشرك الذي وقع فيه جميع الأمم كان في هذا النوع، جاء القرآن الكريم مبينًا لهذا التوحيد، ومقررًا له بالبراهين العقلية الصحيحة، وبأساليب متنوعة مناسبة لمعالجة ما كان عليه الناس وقت نزول القرآن الكريم، وما يأتي بعد ذلك، وفي هذا البحث المختصر قمت بحصر بعض أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى توحيد الألوهية في المباحث التالية:

المبحث الأول

إلزام المشركين باعترافهم بتوحيد الربوبية ليقروا بتوحيد الألوهية

توحيد الربوبية هو: الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر(١٥).

وهذا النوع من التوحيد كان يقرُّ به المشركون إجمالاً الذين بُعِثَ فيهم رسول الله ﷺ؛ كما قال تعالى عنهم مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف/٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف/٨٧].

فالإقرار بربوبيَّة الله تعالى لا يكفي العبدَ في تحقيق إسلامه؛ بل لا بُدَّ معه من الإتيان بلازمه ومقتضاه، وهو توحيد الألوهية؛ وهو: إفراد الله تعالى بالعبادة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وليس المراد بالتوحيد مجرَّد توحيد

الربوبية -وهو اعتقاد أنَّ الله وحدَه خلقَ العالم-، كما يظنُّ ذلك مَن يظنه من أهل الكلام والتصوف، ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد! وذلك أنَّ الرجل لو أقرَّ بما يستحقه الربُّ تعالى من الصفات، ونزهَّه عَن كلِّ ما ينزه عنه، وأقرَّ بأنه وحدَه خالق كل شيء؛ لم يكن موحِّدًا -بل ولا مؤمنًا- حتى يشهد أن لا إله إلا الله؛ فيقرّ بأنَّ الله وحدَه هو الإله المستحِقُّ للعبادة، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له. والإله هو بمعنى المألوه المعبود الذي يستحق العبادة، ليس هو الإله بمعنى القادر على الخلق...» إلى آخر كلامه[١٦].

إذن فالعلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية علاقة تلازم وتضمن، فتوحيد الربوبية مستلزم[١٧] لتوحيد الألوهية، يعني من أقر بتوحيد الربوبية لزمه أن يقر بتوحيد الألوهية ويعبد الله وحده، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية.

ودلالة توحيد الربوبية على التوحيد الألوهية هي دلالة عقلية، نعم هي شرعية من ناحية أنها منزلة من عند الله تعالى وهو الذي نصبها لنا لكنها من حيث الدلالة هي عقلية يعني تدرك بالعقل ويخاطب الله فيها العقول بكل ما هو واضح جلي، لذا تنتهي آيات التوحيد بقوله: أفلا يعقلون، يتفكرون، أفلا تذكرون، لآيات لأولي الألباب.

قال ابن أبي العز رحمه الله[١٨]: «و من ذلك أنه –الله- يقرر توحيد الربوبية ويبين أنه لا خالق إلا الله وأن ذلك مستلزم ألا يعبد إلا الله، فيجعل الأول -توحيد الربوبية- دليلًا على الثاني -توحيد الألوهية- إذ يسلمون الأول وينازعون في الثاني، فيبين لهم سبحانه أنكم إذا كنتم تعلمون أنه لا خالق إلا الله، وأنه هو الذي يأتي العباد بما ينفعهم، ويدفع عنهم ما يضرهم لا شريك له في ذلك، فلِمَ تعبدون غيره، وتجعلون معه آلهة أخرى، كقوله تعالى: (قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ

لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ يَعۡدِلُونَ) [النمل/٥٩، ٦٠]»(١٩).

و قد «ذكر الآيات المتفقة المنتظمة الدالة على توحيد الله ﷻ في صفة خلق السماوات التي ذكرها في كتابه وبينها على لسان رسوله ﷺ تنبيهًا لخلقه، قال تعالى: (وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّلۡعَٰلِمِينَ) [الروم/٢٢]، وقال تعالى: (وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ) [الروم/٢٥]، فأخبر أن السماوات والأرض آية لذوي العقول والألباب، ثم أمرهم بالتفكر في خلقهما فقال: (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ) [آل عمران/١٩١]، وأخبر بارتفاعها وأن فوق ذلك العرش وبينها على لسان رسوله ﷺ»(٢٠).

وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية ؛ يعني من أقر بتوحيد الألوهية وعبد الله وحده فإنه لم يقر به ويلتزمه حتى كان قد أقر بتوحيد الربوبية، كما قال ابن أبي العز: «وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس، فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزًا، والعاجز لا يصلح أن يكون إلهًا، قال تعالى: (أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) [النحل/١٧]»(٢١).

وإن جل ما ورد في القرآن الكريم متعلق بالتوحيد إنما كان في تقرير هذا التوحيد ليؤسس عليه الدعوة إلى عبادة الله وحده، فلن يثبت توحيد الألوهية إلا على قاعدة مكينة صلبة من توحيد الربوبية، فإن من يرسخ يقينه بتفرد الله ﷻ بالخلق والملك والرزق والتدبير، لا بد أن يتوجه بدعائه وعبادته إليه وحده وإلا فهو التناقض أو الجنون! ولو تدبرت في جميع الآيات التي وردت في إقرار المشركين بالربوبية لوجدتها تجعل من هذا الإقرار مدخلًا للدعوة إلى توحيد الألوهية وبرهانًا عليه.

قال الله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ

تَتَّقُونَ * ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة/٢١، ٢٢].

قال عكرمة(٢٢): «نهاهم الله تعالى أن يشركوا به شيئًا وأن يعبدوا غيره أو يتخذوا له ندًّا وعدلًا في الطاعة فقال: كما لا شريك لي في خلقكم وفي رزقكم الذي أرزقكم وملكي إياكم ونعمتي التي أنعمتها عليكم؛ فكذلك فأفردوا لي الطاعة وأخلصوا لي العبادة، ولا تجعلوا لي شريكًا وندًّا من خلقي، فإنكم تعلمون أن كل نعمة عليكم مني»(٢٣).

قال الشنقيطي(٢٤): «علم من استقراء القرآن أن العلامة الفارقة بين مَن يستحق العبادة وبين من لا يستحقها هي كونه خالقًا لغيره، فمن كان خالقًا لغيره فهو المعبود بحق، ومن كان لا يقدر على خلق شيء فهو مخلوق محتاج لا يصلح أن يُعبد بحال، فالآيات الدالة على ذلك كثيرة جدًّا؛ كقوله تعالى في البقرة: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة/٢١]، فقوله: (ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ) يدل على أن المعبود هو الخالق وحده، وقوله تعالى: (أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ) [الرعد/١٦]. يعني وخالق كل شيء هو المعبود وحده»(٢٥).

وقد بيّن الله تعالى استحقاقه للعبادة؛ لأنه هو الخالق والرازق، وأمرهم أمر إيجاب بقوله: (ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ)، وقال الله تعالى: (قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ * وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ) [الأنعام/١٤-١٨].

ففي هذه الآيات تقرير التوحيد لله تعالى؛ فالاستفهام في قوله تعالى: (أَغَيْرَ

ﷲِ) إنكاري؛ أي: كيف اتخذ وليًّا غير الله فأطيعه وأعبده، والله هو خالق السماوات والأرض، الذي يرزق الخلق ولا يحتاج إليهم، فهو الغني عن كل ما سواه، فلذلك أمره الله بعبادته وحده ونهاه عن الشرك، ثم بيَّن الله تعالى أن الثواب والعقاب بيده، وبيَّن تعالى أنه على كل شيء قدير، ولا يعجزه شيء وهو المتصرف وحده، فله القدرة الكاملة والعزة الظاهرة، فإذا كان ذلك كذلك كيف لا تُخلص له العبادة[٢٦].

هذا وقد كان المشركون يقرون بتوحيد الربوبية، ولذلك قال الله تعالى عنهم: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ) [يوسف/١٠٦]، قال عكرمة مولى ابن عباس في تفسير الآية السابقة: «ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره»[٢٧]، ومثل هذا التفسير منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره[٢٨].

ولذلك فإن الله ﷻ قررهم بهذا النوع من التوحيد، أي: إذا كنتم أيها المشركون تقرون لله بأنه خالق كل شيء ورازقه، فعليكم أن تقروا كذلك لله تعالى بالألوهية وحده، وتتقوه ولا تعبدوا غيره. قال الله تعالى: (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ) [يونس/٣١، ٣٢].

قال ابن جرير[٢٩] عند قوله: (أَفَلَا تَتَّقُونَ): «أفلا تخافون عقاب الله على شرككم وادعائكم ربًّا غير مَن هذه الصفةُ صفتُه، وعبادتكم معه مَن لا يرزقكم شيئًا ولا يملك لكم ضرًّا ولا نفعًا؟»[٣٠].

فهذه الآيات جاءت بعد أن ذكر الله إهلاكه لفرعون وقومه، وذهاب ملك سبأ، وإهلاك ثمود قوم صالح عليه السلام، وإهلاك قوم لوط عليه السلام.

ووجه المناسبة كما قال ابن جرير رحمه الله: «قل يا محمد لهؤلاء الذين

زيَّنا لهم أعمالهم من قومك فهم يعمهون: آلله الذي أنعم على أوليائه هذه النعم التي قصها عليكم في هذه السورة، وأهلك أعداءه بالذي أهلكهم به من صنوف العذاب التي ذكرها لكم فيها خير أما تشركون من أوثانكم التي لا تنفعكم ولا تضركم، ولا تدفع عن أنفسها ولا عن أوليائها سوءًا، ولا تجلب إليها ولا إليهم نفعًا؟ يقول: إن هذا الأمر لا يشكل على مَن له عقل، فكيف تستجيزون أن تشركوا عبادة من لا نفع عنده لكم ولا دفع ضر عنكم في عبادة مَن بيده النفع والضر وله كل شيء؟ ثم ابتدأ تعالى ذكره تعديد نعمه عليهم»(٣١).

وقوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ...﴾ إلى أن قال: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور/٣٥-٤٣].

وهذه الآيات من أقوى الآيات في بيان توحيد الربوبية المستلزم لتوحيد الألوهية، ولهذا كان وقعها على المشركين كبيرًا، فعن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه ﷺ قال: «سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور/٣٥-٣٧] كاد قلبي أن يطير»(٣٢).

قال ابن كثير رحمه الله(٣٣): «وجبير بن مطعم كان قد قدم على النبي ﷺ بعد وقعة بدر في فداء الأسارى، وكان إذ ذاك مشركًا، فكان سماعه هذه الآية من هذه السورة من جملة ما حمله على الدخول في الإسلام بعد ذلك»(٣٤).

وقال الألوسي رحمه الله(٣٥): «تأمل كيف استدل سبحانه وتعالى على توحيد إلهيته، ووجوب عبادته وحده لا شريك له بما أقر به الخصم واعترف به من التوحيد ربوبيته واستقلاله بالملك والخلق والتأثير والتدبير، وهذه عادة القرآن دائمًا: يعرج على هذه الحجة؛ لأنها من أكبر الحجج وأوضحها وأدلها على المقصود»(٣٦).

وقال السعدي رحمه الله[٣٧]: «من عرف أنه هو الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور أنتج له ذلك أنه هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ولما كان هذا من أوضح الأشياء وأعظمها أكثر الله تعالى من الاستدلال به في كتابه»[٣٨].

وقال أيضًا: «استدل بتوحيد الربوبية الذي يقر به كل أحد على توحيد الإلهية الذي ينكره المشركون، فكما أن الله هو الذي خلقنا ورزقنا وأنعم علينا نعمًا ظاهرة وباطنة، فليكن هو معبودنا الذي نألهه بالحب والخوف والرجاء، والدعاء والاستعانة، وجميع أنواع العبادة»[٣٩].

والآيات في هذا كثيرة جدًّا، وأنت ترى أن الله تعالى بيَّن للناس آيات ربوبيته ودلائل خلقه التي يعترفون بها، ويعلمون أن الله سبحانه هو خالقها وحده، ولكنهم مع ذلك يشركون في ألوهيته سبحانه غيره، ويحتج عليهم بما أقروا به من توحيد الربوبية، فإن ذلك في نفسه دليل على توحيد الألوهية إذ هما متلازمان، ولا يكفي الإقرار بتوحيد الربوبية وحده[٤٠].

المبحث الثاني

الاحتجاج عليهم بعجز الآلهة التي يدعونها من دون الله ﷻ

من أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى توحيد الألوهية بيان عجز الآلهة التي يدعونها من دون الله ﷻ، وأنها لا تملك لنفسها كما لا تملك لغيرها نفعًا ولا ضرًّا من دون الله ﷻ، وقد جاء ذلك في آيات كثيرة من كتاب الله تعالى[٤١]:

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان/٣].

ففي هذه الآية تقريع للمشركين بعبادتهم ما دون الله وتنبيه لهم على موضع خطأ فعلهم ببيان أن آلهتهم التي يعبدونها لا تخلق شيئًا بل هي مخلوقة ومع ذلك فهي لا تملك دفع ضر عن نفسها ولا جلب منفعة إليها ولا تملك إماتة ولا إحياءً ولا بعثًا –فهذه هي صفتها فهي لا تستحق العبادة[٤٢].

قال ابن كثير رحمه الله: «يخبر تعالى عن جهل المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله، الخالق لكل شيء، المالك لأزمة الأمور، الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. ومع هذا عبدوا معه من الأصنام ما لا يقدر على خلق جناح بعوضة، بل هم مخلوقون، ولا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعا، فكيف يملكون لعابديهم؟ ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ أي: ليس لهم من ذلك شيء، بل ذلك مرجعه كله إلى الله عز وجل، الذي هو يحيي ويميت، وهو الذي يعيد الخلائق يوم القيامة أولهم وآخرهم... فهو الله الذي لا إله غيره ولا رب سواه، ولا تنبغي العبادة إلا له؛ لأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. وهو الذي لا ولد له ولا والد، ولا عديل ولا نديد ولا وزير ولا نظير، بل هو الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد»(٤٣).

وقد ذكر الله تعالى هذه الآيات بعد قوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا * ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان/١، ٢].

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: فأفردوا أيها الناس لربكم الذي نزل الفرقان على عبده محمد نبيه ﷺ الألوهة، وأخلصوا له العبادة دون كل ما تعبدون من دونه من الآلهة والأصنام والملائكة والجن والإنس، فإن كل ذلك خلقه وفي ملكه، فلا تصلح العبادة إلا لله الذي هو مالك جميع ذلك»(٤٤).

ومن الآيات التي تبين ضعف ما يُعبد من دون الله وأنه لا يخلق شيئًا، فلا يستحق أن يعبد قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ [الروم/٤٠].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «ولا شك أن الجواب الذي لا جواب لهم غيره هو: لا، أي: ليس من شركائنا من يقدر على أن يفعل من ذلك المذكور من الخلق والرزق والإماتة والإحياء، فلما تعين اعترافهم وبخهم منكرًا عليهم بقوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾»(٤٥).

ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا﴾ [الإسراء/٥٦]، وفي هذه الآية تعجيز للمدعوين من دون الله سواء كانوا ملائكة أو جنًّا أو إنسًا أو أصنامًا أو غير ذلك إذا أراد الله إنزال ضر أن يدفعوه أو يحولوه إلى نفع، أو يحولوا الضر إلى آخرين، ولا شك أن المدعوين من دون الله عاجزون عن ذلك إذ المُقدِّر هو الله تعالى، فلا يقدر أحد أن يغير ما قدّره الله، وبهذا يعلم أن أولئك لا يجوز صرف شيء من العبادة إليهم، إذ المستحق لأن يعبد هو الذي لا يعجزه شيء وهو الله سبحانه وتعالى(٤٦).

ومن الآيات الجامعة في هذا الباب قول الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ * وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ/٢٢، ٢٣].

ففي هذه الآية يأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول للمشركين: ادعوا الذين زعمتموهم شركاء لله ليجلبوا لكم نفعًا، أو يدفعوا عنكم ضرًّا، فإنهم لا يستطيعون ذلك، وهذا يفيد عدم استحقاقهم للعبادة(٤٧).

وفي هذا يقول ابن القيم رحمه الله: «فتأمل كيف أخذت هذه الآية على المشركين بمجامع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك، وسدتها عليهم أحكم سد وأبلغه، فإن العابد إنما يتعلق بالمعبود لما يرجو من نفعه، وإلا فلو لم يرج منه منفعة لم يتعلق قلبه به، وحينئذٍ فلا بد أن يكون المعبود مالكًا للأسباب التي ينفع بها عباده، أو شريكًا لمالكها، أو ظهيرًا أو وزيرًا ومعاونًا له، أو وجيهًا ذا حرمة وقدر يشفع عنده، فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كل وجه وبطلت انتفت أسباب الشرك وانقطعت مواده، فنفى سبحانه عن آلهتهم أن تملك مثقال ذرة في السماوات والأرض، فقد يقول المشرك: هي شريكة لمالك الحق فنفى شركتها له، فيقول المشرك: قد تكون ظهيرًا ووزيرًا ومعاونًا فقال: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ﴾ فلم يبق إلا الشفاعة، فنفاها عن آلهتهم، وأخبر أنه لا يشفع عنده أحد إلا

بإذنه، فهو الذي يأذن للشافع، فإن لم يأذن له لم يتقدم بالشفاعة بين يديه، كما يكون في حق المخلوقين، فإن المشفوع عنده يحتاج إلى الشافع ومعاونته له فيقبل شفاعته وإن لم يأذن له فيها، وأما مَنْ كُلُّ ما سواه فقيرٌ إليه بذاته، وهو الغنيّ بذاته عن كل ما سواه، فكيف يشفع عنده أحد بدون إذنه!»(٤٨).

ومن الأحاديث في هذا الباب قول الرسول ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**»(٤٩).

ففي هذه الوصية الأمر بالاستعانة بالله وحده وسؤاله وحده، ثم ذكر أصلًا عظيمًا عليه مدار الوصية وهو تقدير الله ﷻ للأشياء كلها. قال ابن رجب رحمه الله(٥٠): «واعلم أن مدار جميع هذه الوصية على هذا الأصل، وما ذكر قبله وبعده فهو متفرع عليه وراجع إليه، فإن العبد إذا علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير وشر ونفع وضر، وأن اجتهاد الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مفيد البتة علم حينئذٍ أن الله وحده هو الضار النافع، المعطي المانع، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه ﷻ وإفراده بالطاعة، وحفظ حدوده، فإن المعبود إنما يقصد بعبادته جلب المنافع ودفع المضار، ولهذا ذم الله من يعبد من لا ينفع ولا يضر ولا يغني عن عابده شيئًا، فمن علم أنه لا ينفع ولا يضر ولا يعطي ولا يمنع غير الله، أوجب له ذلك إفرادَه بالخوف والرجاء والمحبة والسؤال والتضرع والدعاء، وتقديم طاعته على طاعة الخلق جميعًا، وأن يتقي سخطه ولو كان فيه سخط الخلق جميعًا، وإفرادَه بالاستعانة به والسؤال له، وإخلاص الدعاء له في حال الشدة وحال الرخاء، بخلاف ما كان المشركون عليه من إخلاص الدعاء له عند الشدائد ونسيانه في الرخاء، ودعاء مَن يرجون نفعه من دونه، قال الله ﷻ: ﴿**قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ**

كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ) [الزمر/٣٨]»(٥١).

ومنها قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ) [الحج/٧٣، ٧٤].

و«حقيق على كل عبد أن يستمع قلبه لهذا المثل، ويتدبره حق تدبره. فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه، وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده وإعدام ما يضره. والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق الذباب، ولو اجتمعوا كلهم لخلقه، فكيف بما هو أكبر منه، بل لا يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئًا محا عليهم من طيب ونحوه، فيستنقذوه منه، فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوانات، ولا على الانتصار منه، واسترجاع ما سلبهم إياه، فلا أعجز من هذه الآلهة، ولا أضعف منها. فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله؟ وهذا المثل من أبلغ ما أنزله الله سبحانه في بطلان الشرك، وتجهيل أهله، وتقبيح عقولهم»(٥٢).

ومنها قوله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر/١٤].

قال ابن كثير رحمه الله: «ثم قال: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ يعني: الآلهة التي تدعونها من دون الله لا يسمعون دعاءكم؛ لأنها جماد لا أرواح فيها (وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ) أي: لا يقدرون على ما تطلبون منها، (وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ)، أي: يتبرؤون منكم»(٥٣).

ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر/٣٨].

قال السعدي رحمه الله: «﴿قُلْ﴾ لهم مقررا عجز آلهتهم، بعد ما تبينت قدرة الله: ﴿أَفَرَءَيْتُم﴾ أي: أخبروني ﴿مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ أيَّ ضر كان ﴿هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ بإزالته بالكلية، أو بتخفيفه من حال إلى حال؟ ﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ﴾ يوصل إليَّ بها منفعة في ديني أو دنياي. ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ ومانعاتها عني؟ سيقولون: لا يكشفون الضر ولا يمسكون الرحمة. قل لهم بعد ما تبين الدليل القاطع على أنه وحده المعبود، وأنه الخالق للمخلوقات، النافع الضار وحده، وأن غيره عاجز من كل وجه. عن الخلق والنفع والضر، مستجلبا كفايته، مستدفعا مكرهم وكيدهم: ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ أي: عليه يعتمد المعتمدون في جلب مصالحهم ودفع مضارهم، فالذي بيده وحده الكفاية هو حسبي، سيكفيني كل ما أهمني وما لا أهتم به»(٥٤).

وقد يذكر الله تعالى أن التعجيز يقع في الآخرة أيضًا، فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ [الكهف/٥٢]،

قال الشنقيطي رحمه الله: «أي: واذكر يوم يقول الله جل وعلا للمشركين الذين كانوا يشركون معه الآلهة والأنداد من الأصنام وغيرها من المعبودات من دون الله توبيخًا لهم وتقريعا: ﴿نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أنهم شركاء معي، فالمفعولان محذوفان: أي: زعمتموهم شركاء لي كذبًا وافتراء. أي: ادعوهم واستغيثوا بهم لينصروكم ويمنعوكم من عذابي، ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾، أي: فاستغاثوا بهم فلم يغيثوهم. وما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة: من عدم استجابتهم لهم إذا دعوهم يوم القيامة جاء موضحا في مواضع أخر... والآيات في تبرئهم منهم يوم القيامة، وعدم استجابتهم لهم كثيرة جدًّا»(٥٥).

وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾ [القصص/٦٤].

قال ابن القيم رحمه الله: « يبكتهم الله ﷻ ويخزيهم يوم القيامة بإراءتهم أن شركاءهم لا يستجيبون لدعوتهم»[٥٦].

مما سبق يتبين لنا أن الله تعالى ذكر من الحجج الدالة على توحيده وصرف العبادة إليه وحده لا شريك له، وأن غيره لا يخلق شيئًا، وأنه عاجز ضعيف مربوب لله ﷻ، فوجب ألا يصرف إليه شيء من العبادة.

المبحث الثالث

تذكير المشركين بما يكمن في نفوسهم من التوحيد[٥٧]

من براهين وحدانية الله تعالى أن العقول والفطر مضطرة إلى الاعتراف بباريها، وكمال قدرته ونفوذ مشيئته، وذلك أن الخلق محتاجون ومضطرون إلى جلب المنافع ودفع المضار، فهي مضطرة إلى علمها بأنه خالقها وحده، ومالكها وحده، ومبقيها وحده، وممدها بمنافعها وحده[٥٨].

وهذا يحدث في أوقات الشدة، فإن المشركين كانوا إذا ركبوا في الفلك واشتدت الرياح هيجانًا وتلاطمت الأمواج وأوشكوا على الغرق أيقنوا أنه لا ينجيهم إلا الله سبحانه، فعند ذلك يتركون أصنامهم ويلتجئون إلى الله ﷻ وحده.

ومن الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في الدعوة إلى توحيد الألوهية تذكير المشركين بما يكمن في نفوسهم وفطرتهم من التوحيد الذي يظهر عند الشدائد والكرب، فيحتج الله ﷻ عليهم بأنه يجب أن يفردوه بالدعاء وحده في السراء كما فعلوا في الضراء.

ومن الآيات في هذا الباب قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ

ٱلشَّٰكِرِينَ * فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [يونس/٢٢، ٢٣].

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: «لا يخفى على الناظر في هذه الآية الكريمة أن الله ذم الكفار وعاتبهم بأنهم في وقت الشدائد والأهوال خاصة يخلصون العبادة له وحده ولا يصرفون شيئًا من حقه لمخلوق، وفي وقت الأمن والعافية يشركون به غيره في حقوقه الواجبة له وحده التي هي عبادته وحده في جميع أنواع العبادة، ويعلم من ذلك أن بعض جهلة المتسمين بالإسلام أسوأ حالًا من عبدة الأوثان، فإنهم إذا دهمتهم الشدائد وغشيتهم الأهوال والكروب التجئوا إلى غير الله ممن يعتقدون فيه الصلاح، في الوقت الذي يخلص فيه الكفار العبادة لله، مع أن الله جل وعلا أوضح في غير موضع أن إجابة المضطر وإنجاءه من الكرب من حقوقه التي لا يشاركه فيها غيره...»[٥٩].

وقال الشوكاني رحمه الله[٦٠]: «وفي هذا دليل على أن الخلق جبلوا على الرجوع إلى الله في الشدائد... وبيان أن هؤلاء المشركين كانوا لا يلتفتون إلى أصنامهم في هذه الحالة وما يشابهها، فيا عجبًا لما حدث في الإسلام من طوائف يعتقدون في الأموات، فإذا عرضت لهم في البحر مثل هذه الحالة دعوا الأموات ولم يخلصوا الدعاء لله كما فعله المشركون»[٦١].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء/٦٧].

قال السعدي رحمه الله: «ومن رحمته الدالة على أنه وحده المعبود دون ما سواه أنهم إذا مسهم الضر في البحر فخافوا من الهلاك لتراكم الأمواج ضل عنهم ما كانوا يدعون من دون الله في حال الرخاء من الأحياء والأموات، فكأنهم لم يكونوا يدعونهم في وقت من الأوقات لعلمهم أنهم ضعفاء عاجزون عن كشف الضر وصرخوا بدعوة فاطر الأرض والسماوات الذي تستغيث به في شدائدها جميع المخلوقات وأخلصوا له الدعاء والتضرع في هذه الحال. فلما

كشف الله عنهم الضر ونجاهم إلى البر ونسوا ما كانوا يدعون إليه من قبل وأشركوا به من لا ينفع ولا يضر ولا يعطي ولا يمنع وأعرضوا عن الإخلاص لربهم ومليكهم، وهذا من جهل الإنسان وكفره فإن الإنسان كفور للنعم، إلا من هدى الله فمن عليه بالعقل السليم واهتدى إلى الصراط المستقيم، فإنه يعلم أن الذي يكشف الشدائد وينجي من الأهوال هو الذي يستحق أن يفرد وتخلص له سائر الأعمال في الشدة والرخاء واليسر والعسر. وأما من خذل ووكل إلى عقله الضعيف فإنه لم يلحظ وقت الشدة إلا مصلحته الحاضرة وإنجاءه في تلك الحال. فلما حصلت له النجاة وزالت عنه المشقة ظن بجهله أنه قد أعجز الله ولم يخطر بقلبه شيء من العواقب الدنيوية فضلًا عن أمور الآخرة»(٦٢).

ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ * قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام/ ٦٣، ٦٤].

قال الرازي رحمه الله(٦٣): «والمقصود أن عند اجتماع هذه الأسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الإنسان إلا إلى الله تعالى، وهذا الرجوع يحصل ظاهرًا وباطنًا؛ لأن الإنسان في هذه الحالة يعظم إخلاصه في حضرة الله تعالى، وينقطع رجاؤه عن كل ما سوى الله تعالى، وهو المراد من قوله: ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾، فبين تعالى أنه إذا شهدت الفطرة السليمة والخلقة الأصلية في هذه الحالة بأنه لا ملجأ إلا إلى الله، ولا تعويل إلا على فضل الله، وجب أن يبقى هذا الإخلاص عند كل الأحوال والأوقات»(٦٤).

ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان/٣٢].

قال السعدي رحمه الله: «وذكر تعالى حال الناس عند ركوبهم البحر، وغشيان الأمواج كالظلل فوقهم، أنهم يخلصون الدعاء لله والعبادة، ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ انقسموا فريقين: فرقة مقتصدة، أي: لم تقم بشكر الله على وجه الكمال، بل هم مذنبون ظالمون لأنفسهم. وفرقة كافرة بنعمة الله، جاحدة لها،

ولهذا قال: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ أي: غدار، ومن غدره أنه عاهد ربه لئن أنجيتنا من البحر وشدته، لنكونن من الشاكرين، فغدر ولم يفِ بذلك، ﴿كَفُورٍ﴾ بنعم الله، فهل يليق بمن نجاهم الله من هذه الشدة، إلا القيام التام بشكر نعم الله؟»[٦٥].

ومنها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت/٦٥، ٦٦].

قال الطبري رحمه الله: «يقول تعالى ذكره: فإذا ركب هؤلاء المشركون السفينة في البحر، فخافوا الغرق والهلاك فيه ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ يقول: أخلصوا لله عند الشدّة التي نزلت بهم التوحيد، وأفردوا له الطاعة، وأذعنوا له بالعبودة، ولم يستغيثوا بآلهتهم وأندادهم، ولكن بالله الذي خلقهم ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾ يقول: فلما خلصهم مما كانوا فيه وسلَّمهم، فصاروا إلى البرّ، إذا هم يجعلون مع الله شريكا في عبادتهم، ويدعون الآلهة والأوثان معه أربابًا»[٦٦].

وقال ابن كثير رحمه الله: «أخبر تعالى عن المشركين أنهم عند الاضطرار يدعونه وحده لا شريك له، فهلا يكون هذا منهم دائمًا»[٦٧].

فإذا صفا الفكر واستيقظت الفطرة أيقن الإنسان أنه لا يعبد إلا الله وحده في جميع أنواع العبادات، وبمثل هذا كان قد أسلم عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه[٦٨]، فقد روى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه[٦٩] ما حاصله: أن النبي ﷺ لما أهدر يوم الفتح دم جماعة منهم عكرمة بن أبي جهل هرب من مكة وركب البحر، فأصابهم عاصف فقال أصحاب السفينة لأهل السفينة: أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئًا، فقال عكرمة: «لئن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص ما ينجيني في البر غيره، اللهم إن لك عهدًا إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمدًا حتى أضع يدي في يده فلأجدنه عفوًا كريمًا»، فجاء فأسلم[٧٠].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ *

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل/٥٣، ٥٤].

قال السعدي رحمه الله: «﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ من فقر ومرض وشدة ﴿فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ أي: تضجون بالدعاء والتضرع لعلمكم أنه لا يدفع الضر والشدة إلا هو، فالذي انفرد بإعطائكم ما تحبون، وصرف ما تكرهون، هو الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده. ولكن كثيرًا من الناس يظلمون أنفسهم، ويجحدون نعمة الله عليهم إذا نجاهم من الشدة فصاروا في حال الرخاء أشركوا به بعض مخلوقاته الفقيرة»[٧١].

مما سبق يتبين لنا أن إقرار المشركين بتوحيد الألوهية والتجاءهم إلى الله تعالى وحده عند الشدة والكرب وتركهم كلَّ ما كانوا يدعونه من دون الله ﷻ من الأصنام والأنداد وغيرها قد ثبت عنهم في آيات كثيرة من القرآن الكريم، وأن القرآن الكريم قد حاكم المشركين المعاندين إلى ما تنطق به فطرتهم التي تعرف حقيقة الألوهية، وتلتجئ إلى إلهها الحق في ساعة الشدة والضيق والحرج، حين يعانون في أسفارهم أهوال البر والبحر، فإنهم لا يتوجهون في تلك اللحظات إلى صنم ولا إلى كوكب، ولا إلى ملك ولا إلى جني، ولا إلى غير ذلك، وإنّما يتوجهون إلى الله وحده مخلصين له الدين سرًّا وجهرًا، ويَعِدُون الله تعالى إذا أنجاهم من تلك الضائقة أن يكونوا من المؤمنين الشاكرين، وهذا يبين أنّ ما تقلده المشركون من الشرك، إنّما هو أمر عارض وشيءٌ طارئ يشغل أذهانهم ومخيلاتهم في وقت الراحة والرخاء، أما إذا نزل بهم ما لا يُطاق من اللأواء وشدة الفزع، فإنهم يجأرون بالدعاء إلى الله وحده، مخلصين له الدين، وضلَّ عنهم كل ما كانوا يدعونه من الأصنام والأوثان، لأنَّ هذا دعاء القلب والفطرة، لا دعاء اللسان والتقليد الأعمى، ولكنهم بعد نجاتهم وأخذهم على أنفسهم العهد ألا يشركوا بالله تعالى يعودون إلى الشرك مرة أخرى.

المبحث الرابع

الاستدلال على وجوب توحيده بصفات كماله وتعدد نعمه على عباده وانتفاء ذلك عن آلهة المشركين

من الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في الدعوة إلى توحيد الألوهية بيان صفات كماله ﷻ، وبيان نعمه وآلائه على خلقه التي لا يملكون ردها ولا إنكارها، ومع ذلك يسفه عقول المشركين وطريقة تفكيرهم التي لا تقودهم مع ظهور الآيات الدالة على عظمة الخالق إلى الإيمان به تعالى، والاستجابة لرسله عليهم السلام، ويطالبهم بالبرهان على صحة ما يدعونه، وأنَّى لهم!!

من ذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ۝٦٠ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦١ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٦٣ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل/٥٩-٦٤].

فهذه الآيات الكريمة واجهت المشركين بأسئلة مستمدة من واقع الكون الذي حولهم، والذي يشاهدونه ويلمسونه، ويتمتعون بفوائده وخيراته.

إنَّ الأرض التي جعلت مستقرًا للكائن الحي، إنسانًا كان أو حيوانًا، والأنهار التي تجري فيها لمصلحة الإنسان والحيوان، والجبال التي انتصبت على ظهرها لتثبيتها واستقرارها، وما جعله الله من حواجز تفصل بين المياه العذبة والمياه المالحة. إنَّ الذي فعل ذلك لا يمكن أن يكون معه شريك في

ملكه، ولكن أكثر المشركين لا يعلمون الحق، فيشركون مع الله غيره.

ويأتي البرهان الآخر في الآيات الكريمة عن طريق الاستفهام الإنكاري، لاستنهاض الذهن الخامل إلى القيام بالموازنة، بين الذي يجيب دعوة المضطر كلما تضرع إليه لإزالة ما ألم به من مكاره، ودفع ما أحاط به من نوازل، والذي يجعل سكان الأرض خلائف يعمرونها جيلًا بعد جيل، وأمة بعد أمة، وبين هذه المعبودات التي لا تفقه ولا تحس ولا تعي، ولا تدافع عن نفسها، فضلًا عن نفع أو إضرار غيرها.

ويأتي برهان آخر أيضًا، وهو أنه من يرشدهم إلى مقاصدهم في أسفارهم في الظلام الدامس، في البراري، والقفار، والبحار، والبلاد التي يتوجهون إليها بالليل والنهار؟

ومن الذي يسوق الرياح مبشرة بنزول المطر الذي هو رحمة للبلاد والعباد؟ هل من إله مع الله يقدر على شيء من ذلك؟ تعالى الله وتقدس الخالق القادر عن مشاركة المخلوق العاجز(٧٢).

قال السعدي رحمه الله: «﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وهذا استفهام قد تقرر وعرف، أي: الله الرب العظيم كامل الأوصاف عظيم الألطاف خير أم الأصنام والأوثان التي عبدوها معه، وهي ناقصة من كل وجه، لا تنفع ولا تضر ولا تملك لأنفسها ولا لعابديها مثقال ذرة من الخير فالله خير مما يشركون. ثم ذكر تفاصيل ما به يعرف ويتعين أنه الإله المعبود وأن عبادته هي الحق وعبادة ما سواه هي الباطل فقال: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ أي: أمن خلق السماوات وما فيها من الشمس والقمر والنجوم والملائكة والأرض وما فيها من جبال وبحار وأنهار وأشجار وغير ذلك. ﴿وَأَنزَلَ لَكُم﴾ أي: لأجلكم ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ﴾ أي: بساتين ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ أي: حسن منظر من كثرة أشجارها وتنوعها وحسن ثمارها، ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ﴾ لولا منة الله عليكم بإنزال المطر. ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾ فعل هذه الأفعال حتى يعبد معه ويشرك به؟ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ به غيره ويسوون

به سواه مع علمهم أنه وحده خالق العالم العلوي والسفلي ومنزل الرزق.

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: هل الأصنام والأوثان الناقصة من كل وجه التي لا فعل منها ولا رزق ولا نفع خير؟ أم الله الذي ﴿جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ يستقر عليها العباد ويتمكنون من السكنى والحرث والبناء والذهاب والإياب. ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا﴾ أي: جعل في خلال الأرض أنهارًا ينتفع بها العباد في زروعهم وأشجارهم، وشربهم وشرب مواشيهم. ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ أي: جبالا ترسيها وتثبتها لئلا تميد وتكون أوتادا لها لئلا تضطرب. ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ البحر المالح والبحر العذب ﴿حَاجِزًا ۗ﴾ يمنع من اختلاطهما فتفوت المنفعة المقصودة من كل منهما بل جعل بينهما حاجزا من الأرض، جعل مجرى الأنهار في الأرض مبعدة عن البحار فيحصل منها مقاصدها ومصالحها، ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾ فعل ذلك حتى يعدل به الله ويشرك به معه. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيشركون بالله تقليدًا لرؤسائهم وإلا فلو علموا حق العلم لم يشركوا به شيئا.

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾. أي: هل يجيب المضطرب الذي أقلقته الكروب وتعسر عليه المطلوب واضطر للخلاص مما هو فيه إلا الله وحده؟ ومن يكشف السوء أي: البلاء والشر والنقمة إلا الله وحده؟ ومن يجعلكم خلفاء الأرض يمكنكم منها ويمد لكم بالرزق ويوصل إليكم نعمه وتكونون خلفاء من قبلكم كما أنه سيميتكم ويأتي بقوم بعدكم أإله مع الله يفعل هذه الأفعال؟ لا أحد يفعل مع الله شيئا من ذلك حتى بإقراركم أيها المشركون، ولهذا كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله مخلصين له الدين لعلمهم أنه وحده المقتدر على دفعه وإزالته، ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: قليل تذكركم وتدبركم للأمور التي إذا تذكرتموها ادَّكرتم ورجعتم إلى الهدى، ولكن الغفلة والإعراض شامل لكم فلذلك ما ارعويتم ولا اهتديتم.

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: من هو الذي يهديكم حين تكونون في ظلمات البر والبحر، حيث لا دليل ولا معلم يرى ولا وسيلة إلى النجاة إلا هدايته لكم، وتيسيره الطريق وجعل ما جعل لكم من الأسباب التي تهتدون بها، ﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ﴾ أي: بين يدي المطر، فيرسلها فتثير السحاب ثم تؤلفه ثم تجمعه ثم تلقحه ثم تدره، فيستبشر بذلك العباد قبل نزول المطر. ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾ فعل ذلك؟ أم هو وحده الذي انفرد به؟ فلم أشركتم معه غيره وعبدتم سواه؟ ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تعاظم وتنزه وتقدس عن شركهم وتسويتهم به غيره.

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

أي: من هو الذي يبدأ الخلق وينشئ المخلوقات ويبتدئ خلقها، ثم يعيد الخلق يوم البعث والنشور؟ ومن يرزقكم من السماء والأرض بالمطر والنبات؟.

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾ يفعل ذلك ويقدر عليه؟ ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ أي: حجتكم ودليلكم على ما قلتم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ وإلا فبتقدير أنكم تقولون: إن الأصنام لها مشاركة له في شيء من ذلك فذلك مجرد دعوى صدقوها بالبرهان، وإلا فاعرفوا أنكم مبطلون لا حجة لكم، فارجعوا إلى الأدلة اليقينية والبراهين القطعية الدالة على أن الله هو المتفرد بجميع التصرفات وأنه المستحق أن تصرف له جميع أنواع العبادات»[٧٣].

ومنها قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون/٨٤-٩٢].

ففي هذه الآيات الكريمة أمرَ اللهُ رسوله ﷺ أن يقول للمشركين لمن الأرض وما فيها من الحيوانات والنبات والثمار، وسائر صنوف المخلوقات؟ ومن المالك لها والمتصرف فيها بالإيجاد، والإفناء؟ فإن كان لديكم علم بذلك فأخبروني به. ستجد أنّهم عند ذلك ينطقون بالحق، وهو أن ذلك لله وحده، فإذا كان ذلك فقل لهم: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، أي: أفلا تعتبرون أنّه لا تنبغي العبادة إلاّ للخالق الرازق المحي المميت.

وقل لهم: (مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ)، أي: من هو خالق السموات الطباق بما في ذلك الشمس والكواكب والأقمار، ومن هو خالق العرش الكبير الذي تحمله الملائكة الأطهار؟

ستجد أنّهم يقولون الله وحده، فقل لهم يا محمد: (أَفَلَا تَتَّقُونَ)، أي: أفلا تخافون من عذابه فتوحدونه وتتركون عبادة غيره.

ثم قل لهم: (مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ)، أي: من بيده الملك الواسع؟ ومن بيده خزائن كل شيء؟ ومن هو المتصرف في هذه الأكوان بالخلق والإيجاد والتدبير؟ وهو مع ذلك يحمي من استجار به والتجأ إليه. وكانت العرب إذا كان السيد فيهم فأجار أحدًا، لا يخفر في جواره، وليس لمن دونه أن يجير عليه، لئلا يفتات عليه. إن المشركين عند ذلك: (سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ)، أي: إذا كنتم تقرّون بأنَّ الملك والتدبير كله لله جل وعلا، فكيف تخدعون وتعرضون عن طاعته وتوحيده(٧٤).

ودلت هذه الآيات على جواز جدال الكفار، وإقامة الحجة عليهم، ونبهت على أنّ من ابتدأ بالخلق والاختراع والإيجاد والإبداع، هو المستحق للألوهية والعبادة(٧٥).

ومنها قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ

عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ
﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/١٤-١٨].

قال الطبري رحمه الله: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا محمد، إن يصبك الله بضر، يقول: بشدة في دنياك، وشظَف في عيشك وضيق فيه، فلن يكشف ذلك عنك إلا الله الذي أمرك أن تكون أوّل من أسلم لأمره ونهيه، وأذعن له من أهل زمانك، دون ما يدعوك العادلون به إلى عبادته من الأوثان والأصنام، ودون كل شيء سواها من خلقه (وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ)، يقول: وإن يصبك بخير، أي: برخاء في عيش، وسعة في الرزق، وكثرة في المال، فتقرّ أنه أصابك بذلك، (فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ)، يقول تعالى ذكره: والله الذي أصابك بذلك، فهو على كل شيء قدير هو القادر على نفعك وضرِّك، وهو على كل شيء يريده قادر، لا يعجزه شيء يريده، ولا يمتنع منه شيء طلبه، ليس كالآلهة الذليلة المَهينة التي لا تقدر على اجتلاب نفع على أنفسها ولا غيرها، ولا دفع ضر عنها ولا غيرها. يقول تعالى ذكره: فكيف تعبد من كان هكذا، أم كيف لا تخلص العبادة، وتقرُّ لمن كان بيده الضر والنفع، والثواب والعقاب، وله القدرة الكاملة، والعزة الظاهرة؟»(٧٦).

مما سبق يتبين لنا أن من الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في الدعوة إلى توحيد الألوهية بيان صفات كماله ﷻ، وبيان نعمه وآلائه على خلقه التي لا يملكون ردها ولا إنكارها، فها هي آياته الباهرة الدالة على صفات كماله في الأنفس والكون ظاهرة لكل ذي بصر، وها هي نعم الله تعالى تترا على خلقه وعباده، فهل هناك أحد يستحق مع هذا كله العبادة سواه؟!.

المبحث الخامس

الإخبار عن التعادي الحاصل بعد البعث

من الأساليب التي استخدمهما القرآن الكريم في الدعوة إلى توحيد الألوهية الإخبار عن التعادي الحاصل بين المشركين وشركائهم يوم القيامة، وهذا من تمام عدم نفع ما يُعبد من دون الله ﷻ، وفيه حسم لمادة الشرك بالله ﷻ، إذ أنه مع عدم نفعه يضر صاحبه في الآخرة، فإن من يعبد غير الله تعالى يتبرأ منه معبوده يوم القيامة، وينقلب ضدًّا له، وتنقطع بينهما أسباب المودة مع استحكام العداوة ولعن بعضهم بعضًا، ومن الآيات في هذا الباب قوله تعالى: (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ * وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ) [القصص/٦٢-٦٤].

قال ابن الجوزي رحمه الله[٧٧]: «(تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ) أي: تبرَّأنا منهم إليك، والمعنى أنهم يتبرّأ بعضهم من بعض ويصيرون أعداء»[٧٨].

وقال السعدي رحمه الله: «ومن المعلوم أنه يتبين لهم في تلك الحال، أن الذي عبدوه، ورجوه باطل، مضمحل في ذاته، وما رجوا منه، فيقرون على أنفسهم بالضلالة والغواية. ولهذا (قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) الرؤساء والقادة، في الكفر والشر، مقرين بغوايتهم وإغوائهم: (رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ) التابعون (الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا) أي: كلنا قد اشترك في الغواية، وحق عليه كلمة العذاب.

(تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ) من عبادتهم، أي: نحن برآء منهم ومن عملهم. (مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ) وإنما كانوا يعبدون الشياطين.

(وَقِيلَ) لهم: (ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ) على ما أملتم فيهم من النفع فأمروا بدعائهم في ذلك الوقت الحرج، الذي يضطر فيه العابد إلى من عبده.

﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ لينفعوهم، أو يدفعوا عنهم من عذاب الله من شيء. ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ فعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين مستحقين للعقوبة، ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾ الذي سيحل بهم عيانًا، بأبصارهم بعد ما كانوا مكذبين به، منكرين له»(٧٩).

ومنها قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [العنكبوت/٢٥].

قال ابن كثير رحمه الله: «يقول لقومه مقرعًا لهم وموبخًا على سوء صنيعهم في عبادتهم الأوثان: إنما اتخذتم هذه لتجتمعوا على عبادتها في الدنيا، صداقة وألفة منكم، بعضكم لبعض في الحياة الدنيا...﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ينعكس هذا الحال، فتبقى هذه الصداقة والمودة بغضة وشنآنا، فـ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ أي: تتجاحدون ما كان بينكم، ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: يلعن الأتباع المتبوعين، والمتبوعون الأتباع»(٨٠).

ومنها قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ * فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [سبأ/٤٠-٤٢].

قال السعدي رحمه الله: «فالملائكة الكرام والأنبياء والأولياء ونحوهم يتبرءون ممن عبدهم يوم القيامة، ويتنصلون من دعائهم إياهم إلى عبادتهم، وهم الصادقون البارون في ذلك، فحينئذ يتحسر المشركون حسرة لا يمكن وصفها، ويعلمون مقدار ما قدموا من الأعمال، وما أسلفوا من رديء الخصال، ويتبين لهم يومئذ أنهم كانوا كاذبين، وأنهم مفترون على الله، قد ضلت عبادتهم، واضمحلت معبوداتهم، وتقطعت بهم الأسباب والوسائل»(٨١).

ومنها قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [إبراهيم/٢٢].

قال الفخر الرازي رحمه الله: «قال المفسرون: إذا استقرّ أهلُ الجنة في الجنة، وأهلُ النار في النار، أخذ أهلُ النار في لوم إبليس وتقريعه، فيقوم في النار فيما بينهم خطيبًا ويقول، ما أخبر الله عنه بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾»(٨٢).

ومنها قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا * كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾ [مريم/٨١، ٨٢].

قال ابن كثير رحمه الله: «يخبر تعالى عن الكفار المشركين بربهم: أنهم اتخذوا من دونه آلهة، لتكون تلك الآلهة ﴿عِزّٗا﴾ يعتزون بها ويستنصرونها. ثم أخبر أنه ليس الأمر كما زعموا، ولا يكون ما طمعوا، فقال: ﴿كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ﴾ أي: يوم القيامة ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾ أي: بخلاف ما ظنوا فيهم»(٨٣).

فالآيات السابقة أفادت عدم نفع ما يعبد من دون الله ﷻ، بل أفادت وقوع العداوة والبغضاء مما يدل على بطلان عبادتها، وأن المستحق لأن يعبد هو الله تعالى وحده لا شريك له.

المبحث السادس

بيان أن المشركين لا حجة ولا برهان لهم في شركهم

من الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في الدعوة إلى توحيد الألوهية بيان أن المشركين لا حجة لهم ولا برهان لهم في شركهم، ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف/٤]، فإن الله تعالى طالب المشركين في هذه الآية بالدليل السمعي والعقلي على صحة عبادتهم غير الله(٨٤)، وهما حجتان قاطعتان وبرهانان

ساطعان إنْ وُجدا، وإلا فإن الدليل العقلي يدل على أن الذي خَلَق هو الذي يُعبد لا المخلوق المربوب ولذلك قال: **(أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ)**، ثم طالبهم بالدليل السمعي النقلي **(ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ)**، وكل ذلك للتعجيز، ولا يستطيعون إثبات شيء من ذلك، فدل على بطلان عبادتهم غير الله، وأن الواجب هو إفراد الله جل وعلا بالعبادة[٨٥].

ثم إن الله تعالى بين أنه سيسأل المشركين حجتهم يوم القيامة، ولن يجدوها في وقت هم أشد حاجة لعذر يعتذرون به، فقال الله تعالى: **(وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ * وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)** [القصص/٧٤، ٧٥].

قال مجاهد[٨٦] في قوله تعالى: **(فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ)** قال: «حجتكم لما كنتم تعبدون وتقولون»[٨٧].

ومنها قوله تعالى: **(أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ)** [الأنبياء/٢٤].

قال السعدي رحمه الله: «ثم رجع إلى تهجين حال المشركين، وأنهم اتخذوا من دونه آلهة فقل لهم موبخا ومقرعا: **(أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ)** أي: حجتكم ودليلكم على صحة ما ذهبتم إليه، ولن يجدوا لذلك سبيلاً بل قد قامت الأدلة القطعية على بطلانه، ولهذا قال: **(هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي)** أي: قد اتفقت الكتب والشرائع على صحة ما قلت لكم، من إبطال الشرك، فهذا كتاب الله الذي فيه ذكر كل شيء، بأدلته العقلية والنقلية، وهذه الكتب السابقة كلها، براهين وأدلة لما قلت. ولما علم أنهم قامت عليهم الحجة والبرهان على بطلان ما ذهبوا إليه، علم أنه لا برهان لهم، لأن البرهان القاطع، يجزم أنه لا معارض له، وإلا لم يكن قطعيًا، وإن وجد في معارضات، فإنها شبه لا تغني من الحق شيئًا»[٨٨].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون/١١٧].

قال ابن الجوزي رحمه الله: «﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ أي: لا حُجَّة له به ولا دليل»(٨٩).

وقال السعدي رحمه الله: «أي: ومن دعا مع الله آلهة غيره، بلا بينة من أمره ولا برهان يدل على ما ذهب إليه، وهذا قيد ملازم، فكل من دعا غير الله، فليس له برهان على ذلك، بل دلت البراهين على بطلان ما ذهب إليه، فأعرض عنها ظلمًا وعنادًا»(٩٠).

ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل/٦٤].

قال الرازي رحمه الله: «ثم بين بقوله: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أن لا برهان لكم فإذن هم مبطلون، وهذا يدل على أنه لا بد في الدعوى من وعلى فساد التقليد»(٩١).

﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [القصص/٧٥].

قال الطبري رحمه الله: «﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ يقول: فقال لهم: هاتوا حجتكم على إشراككم بالله ما كنتم تشركون مع إعذار الله إليكم بالرسل، وإقامته عليكم بالحجج»(٩٢).

وقال السعدي رحمه الله: «﴿فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ حجتكم ودليلكم على صحة شرككم، هل أمرناكم بذلك؟ هل أمرتكم رسلي؟ هل وجدتم ذلك في شيء من كتبي؟ هل فيهم أحد يستحق شيئا من الإلهية؟ هل ينفعونكم، أو يدفعون عنكم من عذاب الله أو يغنون عنكم؟ فليفعلوا إذًا إن كان فيهم أهلية وليروكم إن كان لهم قدرة، ﴿فَعَلِمُوٓا۟﴾ حينئذ بطلان قولهم وفساده، و﴿أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ تعالى، قد توجهت عليهم الخصومة، وانقطعت حجتهم، وأفلجت حجة الله، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ من الكذب والإفك، واضمحل وتلاشى وعدم،

وعلموا أن الله قد عدل فيهم، حيث لم يضع العقوبة إلا بمن استحقها واستأهلها»[٩٣].

فعلم مما تقدم أن من الأدلة الدالة على وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة والكفر بالطواغيت هو ما أقامه الله من الحجة على استحقاقه للعبادة، وهذا النوع من الاستدلال هو من نوع الإبطال المستلزم لصحة نقيض ما أُبطل، أي إذا بطلت عبادة غير الله بما تقدم من الأدلة الدالة على ضعف غير الله وعجزه، وبما ثبت من عدم نفع غيره، بل ثبت ضرره على عابده، كان نقيض هذا هو الحق، وهو ترك عبادة غير الله وإفراد الله وحده بالعبادة، إذ هو وحده المتصف بالصفات التي بها تُستحق العبادة.

المبحث السابع

بيان مصير الموحدين وعاقبتهم في الدنيا والآخرة

من الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في الدعوة إلى توحيد الألوهية تثبيته لأوليائه الموحدين ونصرهم في الدنيا والآخرة، وحكمه بنقيض ذلك على المشركين، فإن الله تعالى قد حكى عن إهلاكه للمشركين المكذبين للرسل وإنجائه لأوليائه الموحدين من الرسل عليهم السلام وأتباعهم، وأبقى لنا وسائل لنتعرف على صدق ذلك بما نراه ونسمعه بطرق قطعية، ثم يذكر أن في ذلك آية -أي: علامة- على صحة استحقاقه للعبادة، وأن عبادة غيره باطلة لا نفع فيها، بل فيها ضرر.

وقد قص الله ﷻ في سورة الشعراء قصص الرسل مع أقوامهم، وأنهم جاءوهم بالتوحيد، فيقع التكذيب من أكثر الناس، فينزل الله عليهم عذابه بسبب ذلك ويذكر إنجاءه للموحدين ثم يقول: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ والآية: العلامة، أي: علامة على صحة استحقاقه العبادة وبطلان عبادة غيره، فيلفت القرآن الكريم أنظار المخاطبين إلى مصير الأمم المكذبة، وما تلقوه من الضربات القاصمة جزاء تمردهم على أنبياء الله تعالى، ويرشدهم إلى النظر والتدبر في الديار التي يمرون عليه مصبحين وممسين، ليكون منها الدرس والعبرة والذكرى.

قال الطبري رحمه الله: «(وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ) يقول: وما كان أكثر قومك يا محمد مؤمنين بما أتاك الله من الحقّ المبين، فسابق في علمي أنهم لا يؤمنون. (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ) في انتقامه ممن كفر به وكذّب رسله من أعدائه، (الرَّحِيمُ) بمن أنجى من رسله، وأتباعهم من الغرق والعذاب الذي عذب به الكفرة»(٩٤).

وهذا الذي ذكره الله من تعذيب المشركين به وإنجاء الموحدين كله في الدنيا، وأما في الآخرة فالنصوص كثيرة جدًّا فمنها قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) [الأنبياء/١٠١-١٠٣].

قال السعدي رحمه الله: «(إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ) أي: سبقت لهم سابقة السعادة في علم الله، وفي اللوح المحفوظ وفي تيسيرهم في الدنيا لليسرى والأعمال الصالحة. (أُولَٰئِكَ عَنْهَا) أي: عن النار (مُبْعَدُونَ) فلا يدخلونها، ولا يكونون قريبا منها، بل يبعدون عنها، غاية البعد، حتى لا يسمعوا حسيسها، ولا يروا شخصها. (وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ) من المآكل، والمشارب، والمناكح والمناظر، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، مستمر لهم ذلك، يزداد حسنه على الأحقاب. (لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ) أي: لا يقلقهم إذا فزع الناس أكبر فزع، وذلك يوم القيامة، حين تقرب النار، تتغيظ على الكافرين والعاصين فيفزع الناس لذلك الأمر وهؤلاء لا يحزنهم، لعلمهم بما يقدمون عليه وأن الله قد أمنهم مما يخافون. (وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ) إذا بعثوا من قبورهم، وأتوا على النجائب وفدا، لنشورهم، مهنئين لهم قائلين: (هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) فليهنكم ما وعدكم الله، وليعظم استبشاركم، بما أمامكم من الكرامة، وليكثر فرحكم وسروركم، بما أمنكم الله من المخاوف والمكاره»(٩٥).

ومنها قوله تعالى: (مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ * وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) [النمل/٨٩، ٩٠].

قال الطبري رحمه الله: «يقول تعالى ذكره: ﴿مَن جَآءَ﴾ الله بتوحيده والإيمان به، وقول لا إله إلا الله موقنًا به قلبه ﴿فَلَهُۥ﴾ من هذه الحسنة عند الله ﴿خَيۡرٞ﴾ يوم القيامة، وذلك الخير أن يثيبه الله ﴿مِّنۡهَا﴾ الجنة، ويؤمِنّه ﴿مِّن فَزَعٍ﴾ الصيحة الكبرى وهي النفخ في الصور. ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ يقول: ومن جاء بالشرك به يوم يلقاه، وجحود وحدانيته ﴿فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾ في نار جهنم»(٩٦).

ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ * يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر/٥١، ٥٢].

قال السعدي رحمه الله: «﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: بالحجة والبرهان والنصر، في الآخرة بالحكم لهم ولأتباعهم بالثواب، ولمن حاربهم بشدة العقاب. ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡ﴾ حين يعتذرون ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ أي: الدار السيئة التي تسوء نازليها»(٩٧).

ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴿٣٦﴾ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات/٢٧-٣٩].

يذكر الله تعالى حال المشركين به في الدار الآخرة، وما يعانون هناك من العذاب الشديد، وما يحل بهم من الأمر الفظيع، وما يحصل لهم من الاضطراب النفسي الرهيب، حيث يختلقون الأعذار الواهية، ويستترون وراء الخيال والأوهام، ظانين أنها تغني عنهم شيئًا، فيزعمون أنّهم كانوا مؤمنين، كما يلقى

بعضُهم التبعية على الآخرين، ويعلن البعضُ الآخر الكفر بما كانوا به مشركين، ويلتجئ آخرون منهم إلى الله قائلين: لو شاء اللهُ ما عبدنا من دونه من شيء، رغم طرق الهداية الكثيرة التي بينها الله لهم في الدنيا. كل ذلك نتيجة للاضطرابات العصبية العنيفة التي تثيرها الحسرة والندامة، ولكن حين لا ينفع الندم، حين ينكشف الغطاء وتظهر الحقيقة التي لا مفرّ منها، فلا شركاء، ولا شفعاء، ولا أنداد ولا غيرهم، وأن جميع المتبوعين يتبرءون من التابعين. عند ذلك يعلم المشركون أنّ القوة لله وحده، وأنه لا إله غيره، فلو تدبر هؤلاء المشركون واتعظوا بما سيحصل لهم من عذاب الله هناك، لانتهوا عما هم فيه من الشرك والضلال، ووحدّوا الله الذي لا إله غيره في الدنيا ولا في الآخرة[٩٨].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام/٩٤].

يبين الله تعالى حالة المجادلين في آيات الله، المكذبين لرسله وما جاؤوا به، ما ينتظرهم من العذاب الشديد في الآخرة، وهناك يقول لهم على سبيل التبكيت والسخرية، أين معبوداتكم الذين كنتم تعبدونهم في الدنيا؟ ووقتها يضطرب المشركون في الجواب: فتارة يقولون: غابوا عنا فلا نراهم، وتارة يجحدون عبادتهم لها، ويقولون لم نكن نعبد شيئًا، وتارة يرجعون ذلك إلى مشيئة الله تعالى، ولكن ذلك التملص وتلك الأعذار لا تجديهم من عذاب الله وعقابه شيئًا[٩٩].

قال السعدي: «فإن المشركين يشركون بالله، ويعبدون معه الملائكة، والأنبياء، والصالحين، وغيرهم، وهم كلهم لله، ولكنهم يجعلون لهذه المخلوقات نصيبا من أنفسهم، وشركة في عبادتهم، وهذا زعم منهم وظلم، فإن الجميع عبيد لله، والله مالكهم، والمستحق لعبادتهم. فشركهم في العبادة، وصرفها لبعض العبيد، تنزيل لهم منزلة الخالق المالك، فيوبخون يوم القيامة ويقال لهم هذه المقالة.

﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: تقطعت الوصل والأسباب بينكم وبين شركائكم، من الشفاعة وغيرها فلم تنفع ولم تُجْد شيئًا. ﴿وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ من الربح، والأمن والسعادة، والنجاة، التي زينها لكم الشيطان، وحسنها في قلوبكم، فنطقت بها ألسنتكم. واغتررتم بهذا الزعم الباطل، الذي لا حقيقة له، حين تبين لكم نقيض ما كنتم تزعمون، وظهر أنكم الخاسرون لأنفسكم وأهليكم وأموالكم»(١٠٠).

وهكذا يتبين لنا مما سبق أن القرآن الكريم قد استخدم في الدعوة إلى توحيد الألوهية بيان مصير الموحدين وعاقبتهم في الدنيا والآخرة، وأيضًا بيان مصير المشركين وعاقبتهم في الدنيا والآخرة، ولا يخفى ما في هذا الأسلوب من الترغيب في سلوك طريق الموحدين والسير على منهاجهم، والترهيب من سلوك طريق الشرك والضلال والتحذير من مغبة عقوباتهم.

المبحث الثامن

أسلوب ضرب المثل(١٠١) الدال على بطلان الشرك وسوء عاقبته

لإثبات توحيد الألوهية ونفي الشرك أقام القرآن الكريم الأدلة الواضحة، والبراهين الساطعة والحجج البينة، واستخدم أسلوب ضرب المثل، ودلالة ضرب الأمثال دلالة عقلية يخاطب به عقولهم بأن يتفكروا في المثل المضروب ويقارنوا بين التوحيد والشرك وبين الله وغيره من المعبودات.

قال السعدي رحمه الله: «فمن أنواع تعاليمه العالية: ضرب الأمثال، وهذا النوع يذكره الباري سبحانه في الأمور المهمة، كالتوحيد وحال الموحد والشرك وحال أهله، والأعمال العامة الجليلة، ويقصد بذلك كله توضيح المعاني النافعة، وتمثيلها بالأمور المحسوسة، ليصير القلب كأنه يشاهد معانيها رأي العين. وهذا من عناية الباري بعباده ولطفه»(١٠٢).

فضرب الأمثال أسلوب عظيم من أساليب الدعوة، استعمله القرآن كثيرًا لتوجيه المدعوين وتعليمهم، وإيصال المعلومات إليهم من خلال عرضها بصورة ماثلة أمامهم يستشعرونها ويحسون بها ويعايشونها، فتنقلب الصورة

المجردة إلى أشياء محسوسة يدركها الشخص ويتفاعل معها، ولا شك أن تشبيه المعاني الذهنية المجردة بالأشياء الحسية والملموسة يؤدي إلى وضوحها.

وضرب الأمثال يؤدي إلى تقريب المعاني البعيدة وتسهيلها، وإيصال الأفكار المجردة عن طريق عرض أمثالها، وما يشابهها من المعاني المحسوسة والواضحة، قال ابن القيم رحمه الله: «وقد ضرب الله ورسوله الأمثال للناس؛ لتقريب المراد، وتفهيم المعنى، وإيصاله إلى ذهن السامع، وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مثّل به، فقد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه وضبطه، واستحضاره له باستحضار نظيره»(١٠٣).

ومن الآيات الواردة بضرب الأمثلة على بطلان الشرك وسوء عاقبته قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥].

قال السعدي رحمه الله: «﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ المأكل والمطعم، وهي: شجرة الحنظل ونحوها، ﴿ٱجْتُثَّتْ﴾ هذه الشجرة ﴿مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ أي: ثبوت، فلا عروق تمسكها، ولا ثمرة صالحة تنتجها، بل إن وجد فيها ثمرة فهي ثمرة خبيثة، كذلك كلمة الكفر والمعاصي، ليس لها ثبوت نافع في القلب، ولا تثمر إلا كل قول خبيث، وعمل خبيث، يؤذي صاحبه، ولا يصعد إلى الله منه عمل صالح، ولا ينفع نفسه، ولا ينتفع به غيره»(١٠٤).

ومنها قوله تعالى: (ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [النحل/٧٥، ٧٦].

ففيها مثلان: فالمثل الأول: مثل الكافر والمؤمن، والثاني: مثل ضربه الله ليبين عدم استحقاق غيره للعبادة بضعفه وعدم قدرته، وعدم فهمه وعقله. وأما

الله سبحانه فهو الذي يأمر بالعدل وهو التوحيد(١٠٥).

ومنها قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر/٢٩].

وهذا مثل ضربه الله للمشرك الذي يعبد آلهة شتى، وللموحد الذي يعبد إلهًا واحدًا وهو الله(١٠٦)، لينبه على قبح الشرك وحسن التوحيد(١٠٧).

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فهذا كله يبين قبح ما كانوا عليه قبل النهي، فلولا أن حسن التوحيد وعبادة الله وحده لا شيك له وقبح الشرك ثابت في نفس الأمر معلوم بالعقل لم يخاطبهم بهذا إذ كانوا لم يفعلوا شيئًا يذمون عليه»(١٠٨).

ويؤكد هذا ما جاء في استعمال القرآن بعد ضرب الأمثلة وإقامة الأدلة من مخاطبة العقول بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم/٢٨]، وهذه الآية جاءت بعد مثل ضربه الله ﷻ ليبين أنه أولى بالتنزيه عن الشركاء من الأسياد من البشر في عدم رضاهم بمشاركة مماليكهم لهم في حقهم، فقال: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الروم/٢٨].

قال ابن القيم رحمه الله: «وهذا دليل قياس احتج الله سبحانه به على المشركين، حيث جعلوا له من عبيده وملكه شركاء، فأقام عليهم حجة يعرفون صحتها من نفوسهم، لا يحتاجون فيها إلى غيرهم، ومن أبلغ الحجاج أن يأخذ الإنسان من نفسه، ويحتج عليه بما هو في نفسه، مقرر عندها، معلوم لها، فقال: هل لكم مما ملكت أيمانكم من عبيدكم وإمائكم شركاء في المال والأهل؟ أي: هل يشارككم عبيدكم في أموالكم وأهليكم فأنتم وهم في ذلك سواء تخافون أن يقاسموكم أموالكم ويشاطروكم إياها، ويستأثرون ببعضها عليكم، كما يخاف الشريك شريكه؟ وقال ابن عباس: تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضًا، والمعنى: هل يرضى أحد منكم أن يكون عبده شريكه في ماله وأهله حتى

يساويه في التصرف في ذلك فهو يخاف أن ينفرد في ماله بأمر يتصرف فيه كما يخاف غيره من الشركاء والأحرار؟ فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم فلم عدلتم بي مِن خلقي مَن هو مملوك لي؟ فإن كان هذا الحكم باطلًا في فطركم وعقولكم - مع أنه جائز عليكم ممكن في حقكم؛ إذ ليس عبيدكم ملكا لكم حقيقة، وإنما هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، وأنتم وهم عبيد لي - فكيف تستجيزون مثل هذا الحكم في حقي، مع أن من جعلتموهم لي شركاء عبيدي وملكي وخلقي؟ فهكذا يكون تفصيل الآيات لأولي العقول»(١٠٩).

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة/١٧١].

قال السعدي رحمه الله: «أخبر تعالى أن مثلهم عند دعاء الداعي لهم إلى الإيمان كمثل البهائم التي ينعق لها راعيها، وليس لها علم بما يقول راعيها ومناديها، فهم يسمعون مجرد الصوت، الذي تقوم به عليهم الحجة، ولكنهم لا يفقهونه فقهًا ينفعهم، فلهذا كانوا صمًّا لا يسمعون الحق سماع فهم وقبول، عميًا لا ينظرون نظر اعتبار، بكما فلا ينطقون بما فيه خير لهم. والسبب الموجب لذلك كله، أنه ليس لهم عقل صحيح، بل هم أسفه السفهاء، وأجهل الجهلاء»(١١٠).

ومنها قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت/٤١].

قال ابن القيم رحمه الله: « فذكر سبحانه إنهم ضعفاء وأن الذين اتخذوهم أولياء أضعف منهم، فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت اتخذت بيتًا، وهو أوهن البيوت وأضعفها، وتحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حيث اتخذوا من دون الله أولياء، فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفًا»(١١١).

ومنها قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام/١٢٢].

قال ابن كثير رحمه الله: «هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتًا، أي: في الضلالة، هالكًا حائرًا، فأحياه الله، أي: أحيا قلبه بالإيمان، وهداه له ووفقه لاتباع رسله. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ أي: يهتدي به كيف يسلك، وكيف يتصرف به...﴿كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أي: الجهالات والأهواء والضلالات المتفرقة، ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ أي: لا يهتدي إلى منفذ، ولا مخلص مما هو فيه»(١١٢).

ومنها قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود/٢٤].

قال الطبري رحمه الله: «يقول تعالى ذكره: مثل فريقي الكفر والإيمان كمثل الأعمى الذي لا يرى بعينه شيئًا، والأصم الذي لا يسمع شيئًا، فكذلك فريق الكفر لا يبصر الحق فيتبعه ويعمل به، لشغله بكفره بالله، وغلبة خذلان الله عليه، لا يسمع داعي الله إلى الرشاد، فيجيبه إلى الهدى فيهتدي به، فهو مقيمٌ في ضلالته، يتردَّد في حيرته. والسميع والبصير فذلك فريق الإيمان، أبصر حجج الله، وأقر بما دلت عليه من توحيد الله، والبراءة من الآلهة والأنداد، ونبوة الأنبياء عليهم السلام، وسمعَ داعي الله فأجابه، وعمل بطاعة الله»(١١٣).

ومنها قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم/١٨].

قال ابن القيم رحمه الله: «فشبه تعالى أعمال الكفار في بطلانها وعدم الانتفاع بها برماد مرت عليه ريح شديدة في يوم عاصف، فشبه سبحانه أعمالهم في حبوطها وذهابها باطلًا كالهباء المنثور لكونها على غير أساس من الإيمان والإحسان، وكونها لغير الله ﷻ وعلى غير أمره برماد طيرته الريح العاصف، فلا

يقدر صاحبه على شيء منه وقت شدة حاجته إليه، فلذلك ﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم على شيء، فلا يرون لها أثرًا من ثواب ولا فائدة نافعة، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه موافقًا لشرعه... وفي تشبيهها بالرماد سر بديع وذلك للتشابه الذي بين أعمالهم وبين الرماد في إحراق النار وإذهابها لأصل هذا وهذا فكانت الأعمال التي لغير الله ﷻ وعلى غير مراده طعمة للنار وبها تسعر النار على أصحابها، وينشئ الله لهم من أعمالهم الباطلة نارًا وعذابًا، كما ينشئ لأهل الأعمال الموافقة لأمره التي هي خالصة لوجهه من أعمالهم نعيمًا وروحًا، فأثرت النار في أعمال أولئك حتى جعلتها رمادًا فهم وما يعبدون من دون الله وقود النار»(١١٤).

ومما تقدم يتبين أهمية توحيد الألوهية المتضمن لأنواع التوحيد جميعًا والمطلوب من الناس كافة. ولذلك بينه الله في كتابه الكريم بأساليب متنوعة، وكلما كان الأمر عظيمًا ومنكروه كثرًا، كثرت أدلة تقريره، وتنوعت أساليبها.

الفصل الثاني

التطبيقات المعاصرة لأساليب القرآن في الدعوة لتوحيد الألوهية

القرآن الكريم هو أصل الأصول؛ فهو خاتم الكتب المنزلَّة من عند الله تعالى، وأعظمها وأشرفها وأهداها، والمهيمن عليها، والنَّاسخ لها ولشرائعها، والجامِع لأصولها ومحاسنها، والباقي والخالد إلى قيام السَّاعة. وهو دليل الخلق إلى خالقهم، يهذب نفوسهم، ويصلح قلوبهم، ويهديهم إلى سواء الصراط. قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء/٩]، فهو مَعِينُ الداعية الصافي الذي لا ينْضَب، يبين له رسالته، ويمده ويرشده إلى أفضل الوسائل والأساليب التي ينبغي عليه أن يطبقها ويمارسها مع مَن يتوجه إليهم بدعوته، فالواجب على الدعاة العناية بمنهج القرآن الكريم في الدعوة إلى توحيد الألوهية، والاستفادة من أساليبه، خاصةً مع ظهور الشرك في هذا العصر وتنوعه.

وفي هذا الفصل أتناول وقوع الشرك في هذا العصر وصوره، ثم أذكر التطبيقات المعاصرة لأساليب القرآن الكريم في الدعوة لتوحيد الألوهية، ولذلك قسمته إلى مبحثين كما يلي:

المبحث الأول

وقوع الشرك في هذا العصر وصوره

الشرك هو أن يتخذ العبدُ مع الله ندًّا يجعله مساويًا وشريكًا له -جل وعلا- فيما يستحقه وحده؛ في ربوبيته وأسمائه وصفاته وألوهيته، سواء كان ذلك بالاعتقاد أو القول أو العمل(١١٥).

والشرك شركان: شرك يتعلق بذات المعبود، وأسمائه وصفاته وأفعاله. وشرك في عبادته ومعاملته، وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله(١١٦).

وفي هذا المبحث أذكر أنواع الشرك الذي يتعلق بمعاملته، وهو أربعة أنواع:

أ- شرك الدعاء:

هو دعاء غير الله من الأنبياء والأولياء وغيرهم، فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ؛ فمن دعا، أو استغاث، أو استعان، أو استعاذ بغير الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ من طلب رزق، أو شفاء مريض، أو إحياء ميت، أو غير ذلك؛ فقد أشرك مع الله غيره، سواء أكان ذلك الغير نبيًّا، أو وليًّا، أو جنيًّا، أو غير ذلك من المخلوقات(١١٧).

قال ابن القيم: «ومن أنواعه: طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم. وهذا أصل شرك العالم؛ فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا؛ فضلاً عمن استغاث به، وسأله قضاء حاجته»(١١٨).

والدعاء يشمل دعاء العبادة والثناء، ودعاء المسألة والطلب؛ ويراد بهما في القرآن الكريم هذا تارة، وهذا تارة، ويراد بهما مجموعهما، وهما متلازمان،

فدعاء المسألة: هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو دفع ضر، إذ الذي يدعى لا بد أن يكون مالكا للنفع والضر. ودعاء العبادة والثناء: هو ما يقصد به العبد ثناء على الله تعالى بما هو أهله, تذللاً له، وانكسارًا بين يديه سبحانه وتعالى، ودعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، ودعاء المسألة متضمّن لدعاء العبادة، وهما متلازمان لا بد من اجتماعهما، ولا يكفي أحدهما عن الآخر[١١٩].

فإذا توجه الإنسان بواحد من هذين النوعين لأحد غير الله تعالى، كأن يدعو ميتًا أو غائبًا، فهذا كله لون من ألوان الشرك، حتى ولو كان ينطق بالشهادتين ويصلي ويصوم، إذ شرط الإسلام -مع التلفظ بالشهادتين- أن لا يعبد إلا الله، فمن أتى بالشهادتين وعبد غير الله، فما أتى بهما حقيقة، فمجرد التلفظ لا يكفي في الإسلام بدون العمل بمعناهما[١٢٠].

وقد تواردت الآيات القرآنية الكريمة في النهي عن دعاء غير الله تعالى، كقوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس/١٠٦، ١٠٧].

قال السعدي: «وهذا وصف لكل مخلوق، أنه لا ينفع ولا يضر، وإنما النافع الضار، هو الله تعالى. ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ بأن دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الضارين أنفسهم بإهلاكها، وهذا الظلم هو الشرك كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان/١٣] فإذا كان خير الخلق، لو دعا مع الله غيره، لكان من الظالمين المشركين فكيف بغيره؟!!... هذا من أعظم الأدلة على أن الله وحده المستحق للعبادة، فإنه النافع الضار، المعطي المانع، الذي إذا مس بضر، كفقر ومرض، ونحوها ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾؛ لأن الخلق، لو اجتمعوا على أن ينفعوا بشيء، لم ينفعوا إلا بما كتبه الله، ولو اجتمعوا على أن يضروا أحدا، لم يقدروا على شيء من ضرره، إذا لم يرده الله»[١٢١].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف/٥].

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: وأي عبد أضل من عبد يدعو من دون الله آلهة لا تستجيب له إلى يوم القيامة: يقول: لا تجيب دعاءه أبدًا؛ لأنها حجر أو خشب أو نحو ذلك وقوله: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف/٥] يقول تعالى ذكره: وآلهتهم التي يدعونهم عن دعائهم إياهم في غفلة؛ لأنها لا تسمع ولا تنطق، ولا تعقل وإنما عنى بوصفها بالغفلة، تمثيلها بالإنسان الساهي عما يقال له، إذ كانت لا تفهم مما يقال لها شيئًا، كما لا يفهم الغافل عن الشيء ما غفل عنه، وإنما هذا توبيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء رأيهم، وقبح اختيارهم في عبادتهم من لا يعقل شيئًا ولا يفهم، وتركهم عبادة من جميع ما بهم من نعمته، ومن به استغاثتهم عندما ينزل بهم من الحوائج والمصائب وقيل: من لا يستجيب له، فأخرج ذكر الآلهة وهي جماد مخرج ذكر بني آدم، ومن له الاختيار والتمييز، إذ كانت قد مثلتها عبدتها بالملوك والأمراء التي تخدم في خدمتهم إياها، فأجرى الكلام في ذلك على نحو ما كان جاريًا فيه عندهم»[١٢٢].

والإنسان بفطرته، حتى ولو كان من أكثر الناس كفرًا وإلحادًا، لا يملك في وقت الشدة والاضطرار إلا أن يرفع يديه للسماء ويدعو: يا رب: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [يونس/٢٢].

ومما سبق يتبين لنا خطورة ما وقع فيه بعض المعاصرين من استغاثتهم بالأموات، ودعائهم والتضرع إليهم وطلب حوائجهم منهم، فكل هذا من شرك الدعاء الذي لا يرضاه الله ﷻ، نسأل الله العفو والعافية.

قال السعدي: «ومن دعا غيره من نبي أو ملك أو ولي أو غيرهم، أو استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ فهو مشرك كافر»[١٢٣].

ب- شرك النية والإرادة والقصد:

وهو أن ينوي بأعماله الدنيا أو الرياء أو السمعة، إرادة كلية كأهل النفاق الخلص، ولم يقصد بها وجه الله والدار الآخرة، فهو مشرك الشرك الأكبر، قال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود/١٥، ١٦]، وهذا النوع من الشرك دقيق الأمر بالغ الخطورة(١٢٤). فهؤلاء لم يعملوا إلا للحياة الدنيا وزينتها فقط؛ فليس لهم في الآخرة ثواب؛ لأنهم لم يريدوا بعملهم الآخرة، وإنما أرادوا الدنيا(١٢٥).

قال ابن القيم: «أما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقل من ينجو منه، فمن أراد بعمله غير وجه الله، ونوى شيئًا غير التقرب إليه، وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته، والإخلاص أن يخلص لله في أقواله وأفعاله وإراداته ونيته. وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عبادَه كلَّهم، ولا يقبل من أحدٍ غيرَها. وهي حقيقة الإسلام، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران/٨٥]، وهي ملّة إبراهيم التي من رغب عنها فهو من أسفه السفهاء»(١٢٦).

فالله ﷻ واحد في إلهيته، فلا يكون لغيره حق في العبادة، أو للخوف منه والرجاء فيه، فلا خشية إلا من الله تعالى، ولا اعتماد إلا عليه، ولا انقياد إلا لحكمه، وغيره عباد مخلوقين لله تعالى، لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا، قال الله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر/٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام/١٤].

فيجب على العبد تحقيق إخلاص العبادة لله تعالى، وذلك بألاَّ يكون هناك

رب يُعبد ويعظم غير الله تعالى، قال تعالى: (قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ) [الأنعام/١٦٤]. ونهى الله تعالى على لسان نبيه محمد ﷺ عن اتخاذ أرباب من دون الله، قال تعالى: (قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [آل عمران/٦٤].

فالله ﷻ واحد في إلهيته، فلا يكون لغيره حق في العبادة، أو للخوف منه والرجاء فيه، فلا خشية إلا من الله تعالى، ولا اعتماد إلا عليه، ولا انقياد إلا لحكمه، وغيره عباد مخلوقين لله تعالى، لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا، قال الله تعالى: (هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ) [فاطر/٣].

وقال تعالى: (قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) [الأنعام/١٤].

فالله سبحانه وتعالى وحده هو المنفرد بالربوبية والإلهية في هذا العالم، فأي شيء يتخذه الإنسان ربًا سواء كان من المادة المشهودة كحجر أو حيوان أو إنسان، أو غير المشهودة كملك أو شيطان أو غيرهما، يعبده وحده، أو مع الله، كان ذلك إشراكًا لخلوّ عبادته من الإخلاص لله تعالى.

ومن هنا يتبين خطورة ما وقع في بعض المعاصرين مِن الشرك ممن يذهبون إلى المقابر والأضرحة ويطوفون بها، ويذبحون عندها، ويتوسلون إلى الموتى من الأولياء وغيرهم، متضرعين إليهم بالدعاء الذي لا ينبغي ألا يكون لغير الله ﷻ، وأن هذا الفعل منهم ينافي الإخلاص للمعبود الحق سبحانه وتعالى.

قال السعدي: «وإذا ثبت أن الذبح لله من أجل العبادات وأكبر الطاعات، فالذبح لغير الله شرك أكبر مخرج عن دائرة الإسلام»(١٢٧).

وقال الشنقيطي: «فمن صرف شيئًا من ذلك لغير الله فقد جعله شريكًا مع

الله في هذه العبادة التي هي الذبح، سواء كان نبيًّا أو ملكًا، أو بناء أو شجرًا أو حجرًا، أو غير ذلك، لا فرق في ذلك بين صالح وطالح»(١٢٨).

جـ- شرك المحبة:

الشرك بالله في المحبة والتعظيم أن يحبّ مخلوقًا كما يحبّ الله، فهذا من الشرك الذي لا يغفره الله. وهو الشرك الذي قال سبحانه فيه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة/١٦٥].

وقال أصحاب هذا الشرك لآلهتهم وقد جمعتهم الجحيم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء/٩٧، ٩٨].

ومعلوم أنهم ما سوَّوهم به سبحانه في الخلق والرزق والإماتة والإحياء والملك والقدرة، وإنّما سوّوهم به في الحبّ والتأله والخضوع لهم والتذلّل. وهذا غاية الظلم والجهل. فكيف يُسوَّى الترابُ بربّ الأرباب؟ وكيف يسوّى العَبيد بمالك الرِّقاب(١٢٩)!!

وإن مقتضى توحيد الإلوهية أن يكون حب العبد لله في أعلى المقامات، ولا يتخذ غيره وليًا محبوبًا كحب الله، وقد قسم العلماء المحبة التي تكون بين الناس إلى ثلاثة أقسام:

١- محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد.

٢- محبة تحنن وود ولطف كمحبة الولد.

٣- محبة لأجل الإحسان وصفات الكمال كمحبة الناس بعضهم بعضًا(١٣٠).

وأما حب الله تعالى فهو الحب الكامل الذي يكون بجميع القلب ولا التفات فيه إلى غير الله، ومحبة العبد ربه ﷻ تكون بطاعته وترك مخالفته؛ لأن فعل ما يرضى به المحبوب يدل على حبه، ومخالفته تدل على نقص المحبة له.

فمن أحب غير الله تعالى كان في حبه لله تعالى نقص، ومن نقص حبه لله نقص توحيده له؛ لأن من كمل حبه لله تعالى لا يحب سواه.

وإخلاص العبادة لله تعالى يقتضي إخلاص الحب له، ولا يتخذ غيره محبوبًا، وقد ذم الله تعالى الذين اتخذوا أندادًا لله يحبونهم كحبه، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة/١٦٥]. والأنداد في الآية أعم من الأصنام كما هو واضح في عبارات القرآن الكريم، وهو ما يشغل عن الله تعالى والمراد بالمحبة: التعظيم والطاعة، أي أنهم يسوون بين الله تعالى وبين الأنداد فيعظمونهم ويطيعونهم كما يعظمون الله ويطيعونه[١٣١].

إذن فقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ يبين أن محبة المؤمنين لله تعالى ليست كمحبة المشركين، فإن المشركين جعلوا الأصنام وأشباهها التي أحبوها في مقام الله، يعبدونها مع الله ويحبونها كحبهم لله، فمن أحب شيئًا غير الله تعالى حبًّا من نوع حب المخلوق للخالق صار عبدًا له؛ لأن المحب منعطف نحو محبوبه ومشغول به، والمحب لا بد أن يطيع محبوبه فيما يريده منه ويرضاه.

ومن هنا يتبين خطأ ما وقع فيه كثير من المعاصرين من إيثار المحبوبات الدنيوية والمادية من النساء والمال والبنين والشهوات على محبة الله ﷻ، وتقديم هذه الأشياء على أمر الله تعالى.

وقد حذرنا النبي ﷺ من هذه المحبة الشركية في قوله: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ**»[١٣٢].

فالحديث سمَّى هؤلاء عبيدًا لهذه الأشياء لانتهاء محبتهم ورضاهم ورغبتهم إليها، وتكون هذه المحبوبات آلهة لهم. قال الصنعاني[١٣٣]: «أراد بعبد الدينار والدرهم من استعبدته الدنيا يطلبها وصار كالعبد لها تتصرف فيه تصرف المالك لينالها وينغمس في شهواتها ومطالبها، وذكر الدينار والقطيفة مجرد مثال، وإلا فكل من استعبدته الدنيا في أي أمر وشغلته عما أمر الله تعالى، وجعل رضاه وسخطه متعلقًا بنيل ما يريد أو عدم نيله، فهو عبده، فمن الناس من يستعبده حب الإمارات، ومنهم من يستعبده حب الصور، ومنهم من يستعبده

حب الأطيان. واعلم أن المذموم من الدنيا كل ما يبعد العبد عن الله تعالى ويشغله عن واجب طاعته وعبادته لا ما يعينه على الأعمال الصالحة فإنه غير مذموم وقد يتعين طلبه ويجب عليه تحصيله»(١٣٤).

ثم إن المحبة لغير الله تعالى تتناقض مع معنى (**لا إله إلا الله**) لأن معناها لا معبود بحق إلا الله، الذي يقتضي كمال المحبة له سبحانه وتعالى، فتوحيد الإلوهية لا يكون إلا بكمال الحب لله تعالى من كل وجه، وبمقدار كمال هذه المحبة يتحقق توحيد الإلوهية.

د- شرك الطاعة:

شرك الطاعة هو مساواة غير الله بالله في التشريع والحكم. أو طاعة العلماء والأمراء في المعصية، مع استحلال ذلك(١٣٥)؛ فكل من أطاع مخلوقًا في تحريم الحلال، أو تحليل الحرام؛ فهو مشرك شرك طاعة. يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «إن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسله صلوات الله وسلامه عليهم، أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته، وأعماه عن نور الوحي مثلهم»(١٣٦).

إن الشريعة الإسلامية جاءت كاملةً شاملةً، صالحةً لكلِّ زمان ومكان، محققةً لسعادة البشرية في الآجل والعاجل، فقد جاءت من عند الله ﷻ خالق الناس، والعالم بما يصلحهم في دنياهم وأخراهم، قال الله تعالى: **﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾** [الأنعام/٣٨]. لذلك من مستلزمات توحيد الإلوهية إرجاع الأمر والنهي والحكم والقضاء إلى الله تعالى، قال تعالى: **﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾** [الأنعام/٥٧]، وقال تعالى: **﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾** [الأنعام/٦٢].

وقد وجه الله تعالى رسوله محمدًا ﷺ أن يقول للمشركين: **﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾** [الأنعام/١١٤].

قال السعدي: «أي: قل يا أيها الرسول ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾ أحاكم إليه، وأتقيد بأوامره ونواهيه. فإن غير الله محكوم عليه لا حاكم. وكل تدبير وحكم للمخلوق فإنه مشتمل على النقص، والعيب، والجور، وإنما الذي يجب أن يتخذ حاكما، فهو الله وحده لا شريك له، الذي له الخلق والأمر. ﴿ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗا﴾ أي: موضَّحا فيه الحلال والحرام، والأحكام الشرعية، وأصول الدين وفروعه، الذي لا بيان فوق بيانه، ولا برهان أجلى من برهانه، ولا أحسن منه حكمًا ولا أقوم قيلاً؛ لأن أحكامه مشتملة على الحكمة والرحمة»(١٣٧).

ولذلك من مقتضى توحيد الإلوهية عدم إنكار ما أنزل الله كلاً أو بعضًا، أو قبول بعض شريعة الله تعالى ورفض البعض الآخر، أو أخذ غير الله ﷻ حاكمًا له في أمور حياته كلاً أو بعضًا.

وقد أخبر الله تعالى بأن الذين يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ممن يدّعون الإيمان بما أنزل إلى رسول الله ﷺ وما أنزل من قبله هم عرضة للهلاك. قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾ [النساء/٦٠].

قال الشيخ الفوزان(١٣٨): «فالذي يحكم بغير ما أنزل الله مستحلاً لذلك يكون طاغوتًا، والذي يقول: أنه يجوز أن يتحاكموا إلى القانون أو إلى العوائد في الجاهلية أو عوائد القبائل والبادية ويتركوا الشرع، يقول: هذا حلال، أو: هذا يساوي ما أنزل الله، فإذا قال إنه أحسن مما أنزل الله، أو يساوي ما أنزل الله، أو قال إنه حلال فقط، ولم يقل: إنه يساوي، ولا أفضل، قال: حلال جائز، هذا يعتبر طاغوتًا، وهذا بنص القرآن، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ سمي طاغوتًا لأنه تجاوز حده، أما من حكم بغير ما أنزل الله وهو يقر أن ما أنزل الله هو الواجب الاتباع والحق، وأن غيره باطل، وأنه يحكم بباطل، فهذا يعتبر

كافرًا الكفر الأصغر الذي لا يخرج من الملة، لكنه على خطر عظيم، على طريق قد يصل به إلى الكفر المخرج من الملة إذا تساهل في هذا الأمر»(١٣٩).

وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء/٦٥]. قال ابن القيم: «أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسمًا مؤكدًا بالنفي قبله على عدم إيمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفروع وأحكام الشرع وأحكام المعاد وسائر الصفات وغيرها، ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج وهو ضيق الصدر، وتنشرح صدورهم لحكمه كل الانشراح، وتنفسح له كل الانفساح، وتقبله كل القبول ولم يثبت لهم الإيمان بذلك أيضًا حتى ينضاف إليه مقابلة حكمة بالرضا والتسليم وعدم المنازعة وانتفاء المعارضة والاعتراض، فهنا قد يحكم الرجل غيره وعنده حرج من حكمه، ولا يلزم من انتفاء الحرج والرضا والتسليم والانقياد، إذ قد يحكمه وينتفي الحرج عنه في تحكيمه ولكن لا ينقاد قلبه ولا يرضا كل الرضا بحكمه، والتسليم أخص من انتفاء الحرج، فالحرج مانع والتسليم أمر وجودي، ولا يلزم من انتفاء حصوله بمجرد انتفائه، إذ قد ينتفي الحرج، ويبقى القلب فارغًا من ومن الرضا به والتسليم له فتأمله»(١٤٠).

المبحث الثاني

التطبيقات المعاصرة لأساليب القرآن في الدعوة إلى توحيد الألوهية

إن منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى تقرير توحيد الألوهية أتم طريقة وأحكمها وأعدلها، والأساليب التي استخدمها القرآن الكريم أفضل الأساليب، وذلك لأنها أقرب الطرق إلى العقل، وأسهلها تناولاً، وأقلها تكلفًا، وأعظمها غناء ونفعًا، وأجلها ثمرة وفائدة، وكل ذلك في أوجز لفظ وأبينه وأعذبه، وأحسنه وأرشقه وأدلّه على المراد.

والقرآن الكريم هو أساس العقيدة الإسلامية، لذلك يجب على الدعاة

العناية بمنهج القرآن والاستفادة من أساليبه في الدعوة إلى توحيد الألوهية، حيث إنه مصدر الدعوة الأول.

وفي هذا المبحث أذكر أهم التطبيقات المعاصرة لأساليب القرآن في الدعوة إلى توحيد الألوهية، وقد قسمت هذا المبحث إلى ستة مطالب كما يلي:

المطلب الأول

العناية بإيقاظ الفطرة وتنميتها

الفطرة لغة: الفاء والطاء والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء وإبرازه. والفطر هو الشق، والانفطار: الانشقاق، وفطره: شقه. والفطور: الشقوق والصدوع. والفطرة: الخلق والابتداء والاختراع[١٤١]. إذن الاستعمال اللغوي لكلمة (فطرة) يتضمن معنيين أساسيين، هما: الشق، والابتداء والاختراع، ويتضح وجود علاقة وثيقة بين المعنى الأول والثاني.

والفطرة اصطلاحًا: قيل: «هي الصفة التي يتصف بها كل موجود في أول زمان خلقته»[١٤٢]. وقيل: «الجبلة المتهيئة لقبول الدين»[١٤٣]. وقيل: «مجموعة الاستعدادات والميول والغرائز التي تولد مع الإنسان دون أن يكون لأحد دخل في إيجادها»[١٤٤].

«فالفطرة خلقة أصلية لها جذورها في أعماق الإنسان، فهي جزء من إنسانيته، بها اكتماله وسلامته، وهذه الخلقة ليست طارئة، بل هو مطبوع عليها منذ وجوده الأول، وليست مكتسبة من الخارج؛ بل هي هبة من الله تعالى للإنسان، عندما خلقه غرزها في خلقته، ولكنها مع ذلك قابلة للكمال والنقص، والتغيير والتبديل، والفساد والانحراف، ومع هذا التبديل والانحراف فإنها لا تنمحي بالكلية، بل يبقى أصلها مخفيًا حتى يأتيه ما يبعثه من جديد.

وفائدتها التي تقوم بها: أنها متهيئة لقبول الحق والدين الصحيح، متمكنة من إداركه على وجهه الصحيح، وهي تميز بين الحق والباطل، والصدق والكذب، والحسن والقبيح، لكن أعظم نتائجها وأكبر فوائدها هو: معرفة خالقها والإيمان به، ومحبته وتوحيده، والاستعداد التام لقبول دينه الذي ارتضاه وهو

الإسلام. والإسلام الذي هو دين الفطرة هو دين جميع الأنبياء جميعًا، وطريقتهم التي استنوها، وهو أصل الدين الذي اتفقت عليه الشرائع، وأخذ الله العهد على بني آدم بالإقرار به عندما أخرجهم من ظهر أبيهم آدم كالذر»(١٤٥).

وإن الإقرار بالرب -جل وعلا- أمر فطري مركوز في كل نفس، ولهذا كانت دعوة الرسل إنما كانت إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وللتذكير بالربوبية؛ لأن عامة الخلق مقرون به سبحانه حتى الكفار يقرون بأنه تعالى الخالق الرازق المحيي المميت، ولكن هذا الإقرار لم يجد شيئًا، ولم ينقذهم من النار(١٤٦).

فالإقرارُ بربوبية الله والتوجه إليه أمر فطري، والشرك حادث طارئ، وقد قال النبي ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ**»(١٤٧)، فلو خُلِّيَ العبد وفطرته لاتجه إلى التوحيد وقَبِل الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، ودلّت عليه الآيات الكونية، ولكن التربية المنحرفة والبيئة الملحدة هما اللتان تغيران اتجاه المولود، ومن ثَمَّ يقلد الأولاد آباءهم في الضلالة والانحراف(١٤٨). يقولُ الله تعالى في الحديث القدسي: «**وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ**»(١٤٩).

وإن البعد عن توحيد الله ﷻ أكبر ظلم يفعله الإنسان بنفسه وبفطرته، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾ [الأنعام/٢١-٢٤]. لذلك يجب على الداعية أن يستخدم هذا الأسلوب القرآني مع المدعوين فيوقظ في دعوته إلى توحيد الألوهية فطر الناس من الاستعداد للإيمان بالله ﷻ، فيذكرهم بما ركب في عقولهم من معرفة الخالق دون الرجوع إلى دليل، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ**﴾

[الأعراف/١٧٢].

ثم إن هذا الإيمان بالخالق واللجوء إليه فطريًّا يظهر بوضوح خاصة إذا أصيب الناس بخوف شديد كالخوف من الغرق في البحر، فإنهم في هذه الحالة لا يتضرعون إلا إلى الله تعالى وحده، لكن ينجيهم من الغرق ويخرجهم إلى البر سالمين، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ * قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام/ ٦٣، ٦٤].

قال الرازي: «ثم إن الإنسان في هذه الحالة لا يطمع إلا في فضل الله ورحمته، ويصير منقطع الطمع عن جميع الخلق، ويصير بقلبه وروحه وجميع أجزائه متضرعا إلى الله تعالى، ثم إذا نجاه الله تعالى من هذه البلية العظيمة، ونقله من هذه المضرة القوية إلى الخلاص والنجاة، ففي الحال ينسى تلك النعمة ويرجع إلى ما ألفه واعتاده من العقائد الباطلة والأخلاق الذميمة»(١٥٠).

وأيضًا العقيدة الإسلامية تخاطب الفطرة ولا تتنافر معها، وتقودها إلى معرفة الخالق البارئ المصور، وتفسّر لها سرَّ ذلك الكون الرهيب، والإنسان إذا صفا فكره، واستيقظت فطرته، أيقن أنه لا يعبد إلا الله وحده في جميع أنواع العبادات.

وإن القرآن الكريم استخدم الأسلوب الأمثل والطريق الأوضح، فرسم منهج الحياة الخالي من العُقَد ومن التهاويل، والخالي من الحقد والحسد، والغش وسوء الخلق، والسليم من الفحش والرذائل والخبائث، النقي من الظلم والبغي والعدوان، وكل هذا لا يخفى أنه يوافق فطرة الإنسان وينميها(١٥١).

فالهدى والصلاح هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها حين خلقهم، كما دلت عليه آية ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف/١٧٢]، وأنها ما غشَّاها إلاّ تلقين الضلال وترويج الباطل، وأن الله بعث النبيين لإصلاح الفطرة إصلاحًا جزئيًّا؛ فكان هديهم مختلف الأساليب على حسب اختلاف المصالح والأهلية وشدة

الشكائم، فكان من الأنبياء الميسر ومنهم المغلظ، وأنه بعث محمدًا لإكمال ذلك الإصلاح، وإعادة الناس إلى الوحدة على الخير والهدى[١٥٢].

لذلك على الداعية أن يستخدم أسلوب إيقاظ الفطرة وتنميتها في دعوته، فيبين عبودية الكون والحياة والإنسان وعلاقتها فيما بينها، ثم علاقتها بالحقيقة الإلهية الكبرى. ويربط بين مجموع تلك الحقائق من جميع جوانبها، في تصور واحد منطقي فطري، يتعامل مع بديهة الإنسان وفكره ووجدانه، ومع مجموع الكينونة البشرية في يسر وسهولة. وهذا أمر بيّن في كتاب الله تعالى والآيات فيه كثيرة، فيستدل في دعوته على ما هو مركوز في فطرة المدعوين من توحيد الربوبية ويستدل به على توحيد الألوهية.

كذلك يأتي بأسلوب يخاطب فيه الكينونة الإنسانية بكل جوانبها وبكل أشواقها، وبكل حاجاتها، وبكل اتجاهاتها، ويردها إلى ربها لأنه خالق كل شيء ومالك كل شيء ومدبر كل شيء. وعندئذ تتجمع هذه الكينونة شعورًا وسلوكًا وتصورًا واستجابة في شأن العقيدة والمنهج، وفي شأن الاستمداد والتلقي، وشأن الموت والحياة، وشأن السعي والحركة، وشأن الدنيا والآخرة، وهذا الأسلوب يوافق الفطرة البشرية ويوقظها وينميها؛ لأنه يواجهها بمثل طبيعتها الموحدة؛ ولا يكلفها عنتًا، ولا يفرقها مِزَقًا[١٥٣].

المطلب الثاني

العناية بالدعوة إلى التفكر[١٥٤] والنظر[١٥٥] في آيات الله الكونية

إن النفس البشرية تميل إلى التفكر والنظر في مخلوقات الله العجيبة؛ لأن هذا التفكر والنظر من نوازع الفطرة، وكوامن الغريزة، وتستلذ النفس الإنسانية إلى تلك المشاهد العجيبة في صفحة الكون الكبيرة، فيكون أثر هذا النظر والتأمل والتفكر والتدبر في آيات الله الكونية محركًا للإيمان وسائقًا إلى الرحمن ومرشدًا إلى طريق الهدى والبيان.

والتفكر في آيات الله يورث العبد تعظيم الله ﷻ، وخوفه وخشيته، ويورثه مراقبته والاستحياء منه، مما يؤدي إلى التزام طاعته والبعد عن معصيته. قال ابن

القيم: «الرب تعالى يدعو عباده في القرآن إلى معرفته من طريقين أحدهما: النظر في مفعولاته، والثاني: التفكر في آياته وتدبرها، فتلك آياته المشهودة وهذه آياته المسموعة المعقولة»(١٥٦).

ولقد اعتنى القرآن الكريم بهذه الغريزة وأعطاها حقَّها، ووجَّه القرآن الكريم الكائن البشري إلى النظر والتأمل والتفكير ودفعه إلى ذلك، وجعل التفكير في خلق الله من أسباب زيادة الإيمان؛ لأن الآثار تدل على موجدها وصانعها، فإذا نظر الإنسان في مخلوقات الله ﷻ نظرة تدبر وتفكر، دعاه ذلك إلى تعظيم خالقها ومبدعها.

«والدعوة إلى الله ﷻ بلفت الأنظار إلى مظاهر الكون وأغوار النفس، والاستدلال بذلك على وحدانية المولى -تبارك وتعالى- باب عظيم من أبواب الدعوة، ومنهج واسع من مناهجها، إذ يخاطب العقول والعواطف والفطر»(١٥٧).

وقد دعا الله ﷻ في كتابه إلى النظر والتفكر في هذا الكون بتنوعه، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام/١١].

قال ابن كثير- رحمه الله-: «أي: فكروا في أنفسكم وانظروا ما أحلَّ الله بالقرون الماضية الذين كذبوا رسُلَهم وعاندوهم من العذاب والنكال والعقوبة في الدنيا، مع ما ادَّخر لهم من العذاب الأليم في الآخرة، وكيف نجا رسولَه وعباده المؤمنين»(١٥٨).

وقال تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس/١٠١]، وتكرُّر هذا الأمر وتجددُه في كتاب الله تعالى يشعر بأهميته، وأن المقصود منه ليس مجرد تقليب النظر وإرسال الخيال بالأشكال، إنما المقصود الأعظم للنظر والتفكر الاعتبار الذي يملأ الجوانح ويزيد الإيمان، ويدفع إلى العمل، ويقرّب من الرحمن.

وإن الدعوة إلى الله ﷻ بلفت أنظار المدعوّين إلى بديع صنعه وعظيم خلقه

من أعظم وسائل الدعوة، وأكثرها أثرًا، «فلقد نالت الآيات الكونية حظًّا وافرًا من صفحات الذكر الحكيم، مما يدل على عمق المادة الدعوية والعلمية التي تحويها، وسعة المنهج الذي تناولته... فآيات العلوم في القرآن تربو على سبعمائة وخمسين آية، أما علم الفقه فلا تزيد آياته الصريحة على مئة وخمسين آية، بل ثمة سور سميت بأسماء كثير من مظاهر الكون؛ لغلبة ما فيها من سرد الآيات الكونية، والتنويه بما تحويه من وجوه الدلالات على مقاصد القرآن العظيم، كسورة الرعد، والنحل...»(١٥٩).

ومما يدل على أهمية العناية بالدعوة إلى التفكر والنظر في آيات الله الكونية قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل/٩٣]، وقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الأعراف/٥٣].

فعلى الداعية تطبيق هذا الأسلوب في دعوته بأن يعدّد في دعوته كبرى مظاهر الكون كالإنسان والدواب، والأفلاك والأجرام السماوية، والأرض وما فيها، وتغير الأحوال من ليل ونهار، ومطر ورياح، مما يكون سببًا في حصول الإيمان وابتداؤه أو زيادته للمدعوين، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عندما سئل: هل يكون لأول حصول الإيمان سبب؟ قال: «فلا ريب أنه يحصل بسبب؛ مثل: استماع القرآن... ومثل النظر في آيات الله، ومثل التفكر في أحوال الإنسان نفسه...»(١٦٠).

وقد حثَّ الله تعالى في القرآن الكريم على التفكر والنظر في آياته الكونية، وأثنى على المتفكرين فيها والمستبصرين بها، وذمَّ من لم يتفكر ويعتبر، وهذه الآيات التي دعا الله تعالى إلى التفكر والتأمل فيها وتدبرها، قسَّمها بعض العلماء إلى قسمين:

القسم الأول: دلالة الأنفس: وهي ما في خلق الإنسان من العجائب، والأسرار العظيمة.

القسم الثاني: دلالة الآفاق: وهي آيات الله الباهرة، ومعجزاته الظاهرة في هذا الكون، من السماء والأرض، والليل والنهار، والشمس والقمر، والجبال والأشجار والدواب، وغير ذلك، وقد جمع الله تعالى القسمين في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت/٥٣][١٦١].

ومن الأمثلة الدالة على ذلك: قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس/١٠١]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك/٣، ٤].

قال الطبري -رحمه الله-: «يقول -تعالى ذكره-: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك السائليك الآيات على صحة ما تدعوهم إليه من توحيد الله، وخلع الأنداد والأوثان: انظروا أيها القوم ماذا في السماوات من الآيات الدالة على حقيقة ما أدعوكم إليه من توحيد الله، من شمسها وقمرها، واختلاف ليلها ونهارها، ونزول الغيث بأرزاق العباد من سحابها، وفي الأرض من جبالها، وتصدعها بنباتها وأقوات أهلها، وسائر صنوف عجائبها، فإن في ذلك لكم إن عقلتم وتدبرتم موعظة ومعتبرًا ودلالة على أن ذلك من فعل من لا يجوز أن يكون له في ملكه شريك، ولا له على تدبيره وحفظه ظهير، يغنيكم عما سواه من الآيات»[١٦٢].

مما تقدم يتبين لنا أهمية استخدام لفت الأنظار إلى مظاهر الكون، وأغوار النفس، والاستدلال بذلك على وحدانيته تعالى؛ وأنه باب عظيم من أبواب الدعوة، ومنهج واسع من مناهجها، يملأ الجوانح ويزيد الإيمان، ويدفع إلى العمل، ويقرّب من الرحمن ﷻ.

المطلب الثالث
بيان عظمة الله وقدرته

من أهم ما يطبقه الداعية في الدعوة إلى توحيد الألوهية بيان عظمة الله وقدرته، فيتحدث عن خلق من خلق الله، أو عن آية من آياته، ونعمة من نعمه موضحًا ما بها من آثار قدرة الله وعظمته ﷻ.

وفي هذا الأسلوب يجد المدعو نفسه أمام سؤال ليس له إلا جواب واحد هو الإقرار بالله ﷻ وتوحيده. فإن استجاب للحق أقر به وإلا أفحم وخرس.

فإذا استدل مثلاً بقوله تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل/٦١، ٦٢].

أو قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك/٢٠، ٢١].

فهذه قضايا يطالب الخصم فيها بإقامة الدليل على بطلانها إن كان في إمكانه أن يفعل، وإلا فقد لزمه الإيمان بالله ﷻ وتوحيده[١٦٣].

والداعية عندما يبين للمدعوين عظمة الله وقدرته فإن أمامه كلَّ ما في الكون من الذرة إلى المجرة، آيات عظيمة تدل على قدرته وعظمته، والقرآن الكريم مليء بالآيات التي ترشد الإنسان ليزداد إيمانًا ويقينًا بمعرفة خالقه وبارئه ومصوره.

ومن أوضح الأمثلة على بيان قدرة الله وعظمته نفس الإنسان، فإن الإنسان إذا نظر وتفكر في مبدأ خلقه ووسطه وآخره يجد أن نفسه وخلقه من أعظم الدلائل على خالقه وفاطره وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه، وفيه من العجائب الدالة على عظمة الله ما تنقضي الأعمار في الوقوف على بعضه وهو غافل عنه معرض عن التفكر فيه، ولو فكر في نفسه لزجره ما يعلم من عجائب خلقها عن كفره[١٦٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن طريقة القرآن في ذلك أن يبين عظمة الرب فإنه أعظم من كل ما يعلم عظمته. فيذكر عظمة المخلوقات ويبين أن الرب أعظم منها... فبين عظمة العرش وأنه فوق السموات مثل القبة. ثم بين تصاغره لعظمة الله وأنه يئط به أطيط الرحل الجديد براكبه. فهذا فيه تعظيم العرش وفيه أن الرب أعظم من ذلك»(١٦٥).

فالله ﷻ عظيم في وجوده، عظيم في علمه، عظيم في سلطانه، وإذا تيقن الإنسان على عظمة الله ﷻ، فإنه بالتالي سيعظم أمره وشعائره، ويعظم كتابه، ويعظم رسوله ﷺ، وهكذا تتحقق فيه لوازم توحيد الألوهية. قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج/٣٢].

كذلك الإنسان إذا تيقن على قدرة الله ﷻ فإن نفسه ستمتلئ طمأنينة وثقة بالله سبحانه وتعالى، فالله هو القدير، وشأن العبد أن يكون مفتقرًا إلى الله ﷻ، وأن يعترف بضعفه أم الله ﷻ.

وهذه الطريقة لها أثر بالغ على المدعوين، فإنهم إذا تيقنوا على عظمة الله وقدرته فإن هذا سيورثهم امتثال أوامره التي من أهمها توحيد الألوهية، وتعظيم حرماته والتي من أهمها الشرك والعياذ بالله. قال ابن القيم: «فإنّ عظمةَ الله وجلالَه في قلب العبد وتعظيمَ حرماته تحول بينه وبيّن الذنوب. فالمتجرّئون على معاصيه ما قدروه حقّ قدره، وكيف يقدره حقَّ قدره أو يعظِّمه ويكبّره ويرجو وقاره ويُجلّه من يهون عليه أمرُه ونهيُه؟ هذا من أمحل المحال وأبين الباطل»(١٦٦).

كما أن هذه الطريقة -وهي بيان عظمة الله وقدرته- تحبب المدعوين إلى خالقهم ﷻ، وتبعثهم على طاعته وشكره، فعلى الداعية الاهتمام ببيان عظمة الله وقدرته للمدعوين حتى يأتي التأثر في قلوبهم، ويزداد فيهم الإيمان، فبعد ذلك يستجيبون ويمتثلون لما أمرهم الله ﷻ به من توحيد الألوهية.

المطلب الرابع

الحوار والجدال

الحوار: نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر به أحدهما على الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب(١٦٧).

والجدال: عبارة عن دفع المرء خصومة عن فساد قوله بحجة أو شبهة، وهو لا يكون إلا بمنازعة غيره(١٦٨).

والفارق بين الجدال والحوار: أن الحوار حديث بين طرفين ينتقل من أحدهما للآخر ويعود للأول، وهكذا دون أن يكون بينهما ما يدل بالضرورة على وجود خصومة(١٦٩).

والحوار والجدال يشتركان في مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين، إلا أن الجدال يأخذ طابع القوة والغلبة والخصومة والعناد والتمسك بالرأي والتعصب له.

ويُعدّ الحوار والجدال من أبرز الوسائل الموصلة إلى الإقناع، وتغيير اتجاه سلوك المدعو نحو الأفضل؛ لما له من بالغ الأثر في تنمية قدرة الفرد على التفكير المشترك، والتحليل والاستدلال، كما أن هذا الأسلوب من الأساليب التي تحرر الإنسان من الانغلاق والانعزالية، وتفتح له قنوات للتواصل يكتسب من خلالها المزيد من المعرفة والوعي.

ويتبين تطبيق هذا الأسلوب في الدعوة إلى الله تعالى لوجود شريحة من المعتدين بعقولهم، ومن علقت بأذهانهم وأفكارهم بعض المعتقدات الفاسدة، ممن امتنع من قبول الحق؛ لذا لابد من استخدام مثل هذا الأسلوب في دعوتهم.

واستخدام الجدال والحوار في الدعوة إلى توحيد الألوهية طريقة فذة تدعو إلى التسليم بأن توحيد الألوهية مقام على الحجة والبرهان وأن أسلوب القرآن في دعوته لاتباع هذا الحق يفحم جميع فرق الكفار ويلزمهم به.

والجدال منه ما هو ممدوح لكنه مشروط بالحسنى، ومنه ما هو مذموم، فالممدوح هو كل جدال أيَّد الحق، أو أفضى إليه بنيَّةٍ خالصةٍ وطريق صحيح؛ كجدال الأنبياء وأتباعهم لنصرة الحق وإزهاق الباطل بالحجة والبرهان، وأما المذموم فهو كل جدال ظاهر الباطل، أو أفضى إليه؛ كجدال الكفار وأهل البدع والمراء[١٧٠].

وقد ذمَّ الله تعالى في القرآن الكريم ثلاثة أنواع من المجادلة:

الأول: ذمَّ صاحب المجادلة بالباطل ليدحض به الحق، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ [الكهف/٥٦].

الثاني: ذمَّ المجادلة بغير علم ولا برهان، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحج/٨].

الثالث: ذمَّ الجدال في الحق بعد ظهوره، وذلك في قوله تعالى: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الأنفال/٦].

فعلى الداعية أن يستخدم أسلوب الجدال والجوار على حسب أصناف المدعوين، فإن «منهم من يعاند ويجادل بالباطل ليدحض به الحق لما غلب عليه من تقليد الأسلاف، ورسخ فيه من العقائد الباطلة، فصار بحيث لا تنفعه المواعظ والعبر، بل لا بد من إلقامه الحجر بأحسن طرق الجدال لتلين عريكته وتزول شكيمته، وهؤلاء الذين أمر ﷺ بجدالهم بالتي هي أحسن»[١٧١].

أصول الحوار وقواعده:

١- المطالبة بالدليل وإلا كانت دعوى باطلة، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة/١١١].

٢- إلزامهم بما يُقرُّون به، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر/٣٨].

٣- ترك الحوار إذا اتَّضح الدليل، وإلا تحول الحوار إلى جدال وخصام بالباطل، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف/٢٩].

٤- البدء في الحوار من النقاط المتفق عليها، قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

ولكن ينبغي للداعية عند استخدامه للحوار والجدال مع المدعوين أن يلتزم بالآداب التي ذكرت في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴿٤٦﴾ قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ﴾ [سبأ/٤٦، ٤٧] فقد اشتملت هاتان الآيتان على أهم آداب الحوار والجدال(١٧٢)، ومن ذلك:

١- الإخلاص لله في المحاورة بقصد طلب الحق، وذلك في قوله تعالى ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾.

٢- التفكر والتدبر بما يلقى في الحوار، وعدم الاستعجال بالرد، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾.

٣- عدم طلب الدنيا بالحوار، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾.

مما تقدَّم يتبيَّن لنا أهمية تطبيق الحوار والجدال في الدعوة إلى الله ﷻ؛ لما

فيه من بيان للحق ودحض للباطل، وأنه من أهم الأساليب المؤثرة في المدعوّين، خاصة من امتلأ قلبُه وفسد عقلُه من العقائد الفاسدة والأفكار الهدامة، فلا محيد عن مجادلته وبيان ضلاله والرد عليه، ومحاولة إقناعه بالتي هي أحسن حتى يعودَ للحقّ.

ويتأكد وجوب الاعتناء بهذا الأسلوب من الدعاة إلى الله تعالى في هذا العصر؛ لكثرة انتشار العقائد الفاسدة، والمذاهب والأفكار الهدامة، والفرق الضالة، عبر وسائل الاتصال الحديثة، التي بسببها أصبح العالم كأنه بلد واحد، فعلى الداعية الموفّق أن يستخدم هذا الأسلوب الذي أمر الله تعالى في محكم التنزيل، وأن يركز فيه على الحجج الداحضة للباطل والمبيّنة للحق، متقنًا لجميع فنونه وأدواته، حتى يكون مؤثرًا في دعوته وحواره، متسلحًا ببعض الأدلة والبراهين العقلية في أسلوبه وحواره ولا يعتمد فقط على الأدلة النقلية، متخذاً العلم الحديث ووسائله المختلفة أداة لإقناع من يحاوره، خاصة في الدول الغربية والتي شوه الإسلام فيها.

المطلب الخامس

الترغيب والترهيب

يُقصد بأسلوب الترغيب استعمال كل ما يشوّق إلى الاستجابة، وقبول الحق، والثبات عليه؛ لنيل رضا الله تعالى ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، فهو وعد يصحبه تحبيب وإغراء بمصلحة أو متعة آجلة مؤكدة خيّرة خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن لذة ضارة ابتغاء مرضاة الله.

وأسلوب الترغيب له أهمية كبيرة في الدعوة إلى الله ﷻ؛ لأن الله ﷻ فطر الإنسان على الميل للحوافز والمرغبات، وكرّه إليه الأسباب التي تجلب له العذاب، وتحرمه من النعيم، وتسلبه الاستقرار الذي يطمح إليه، لذلك كان له أهمية قصوى في الدعوة إلي الله تعالى؛ لما له من التأثير في نفس المدعو لقبول الحق وامتثاله.

والترهيب هو: كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة، أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله، وهو وعيد وتهديد بعقوبة مترتبة على اقتراف إثم أو ذنب، مما نهى الله تعالى عنه، أو على التهاون في أداء فرائض الله(١٧٣).

وأسلوب الترهيب له أهمية كبيرة في الدعوة إلى الله ﷻ، فيُقصد به التخويف من غضب الله تعالى وبطشه وعقابه وعذابه في الآخرة؛ «لأن هنالك بعضًا من الناس وأصنافًا منهم لا يجدي فيهم الترغيب والوعود الجميلة، وإنما ينفع معهم التقريع والتعنيف وكسر حدة النفس وإعراضها عن الحق، وإلزامها كلمة التقوى والمتابعة، فكان الترهيب والتخويف مناسباً لذلك»(١٧٤).

والترغيب والترهيب مبناهما على الخوف والرجاء، فالمؤمن يعبد الله بالخوف والرهبة من جهة، وبالرجاء والرغبة من جهة أخرى، فهما كجناحي طائر، لا غنى للعبد عنهما. قال ابن القيم -رحمه الله-: «الانتفاع بالعظة: هو أن يقدح في القلب قادح الخوف والرجاء، فيتحرك للعمل طلبًا للخلاص من الخوف، ورغبةً في حصول المرجو. والعظة هي الأمر والنهي المعروف بالترغيب والترهيب»(١٧٥).

وقال السعدي -رحمه الله-: «فالعبد ينبغي أن يكون قلبه دائمًا بين الخوف والرجاء، والرغبة والرهبة، فإذا نظر إلى رحمة ربه ومغفرته وجوده وإحسانه، أحدث له ذلك الرجاء والرغبة، وإذا نظر إلى ذنوبه وتقصيره في حقوق ربه، أحدث له الخوف والرهبة والإقلاع عنها»(١٧٦).

لذا نجد اقترانهما في كثير من آيات القرآن الكريم، وقلَّ أن ينفرد أحدهما عن الآخر، فلا يكاد يخلو سياق في آيات القرآن الكريم إلا وفيه دمج وتلازم واقتران الترغيب بالترهيب، أو الخوف بالرجاء، وذلك للتأكيد على أهمية عبادتين من أهم العبادات القلبية، وهما: الخوف والرجاء.

قال ابن كثير -رحمه الله-: «وكثيرًا ما يقرن الله تعالى في القرآن بين هاتين الصفتين كقوله: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ

ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر/٤٩، ٥٠]، وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد/٦] إلى غير ذلك من الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب، فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وأنكالها وعذابها والقيامة وأهوالها، وتارة بهما؛ لينجع في كلٍّ بحسبه، جعلنا الله ممن أطاعه فيما أمر، وترك ما عنه نهى وزجر، وصدقه فيما أخبر، إنه قريب مجيب سميع الدعاء، جواد كريم وهاب»(١٧٧).

والجمع بين الترغيب والترهيب في القرآن الكريم، يؤكد على أنه ينبغي للداعية أن يسلك في دعوته للمدعوين ما يصلح لحالهم من ترغيب أو ترهيب. فينبغي عليه مراعاة أفضلية الخوف والرجاء للمدعو، فيستخدم الأسلوب المناسب له من ترغيب أو ترهيب، قال الغزالي -رحمه الله-: «والخوف والرجاء دواءان يُداوى بهما القلوب، ففضلهما بحسب الداء الموجود، فإن كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله تعالى والاغترار به، فالخوف أفضل، وإن كان الأغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله، فالرجاء أفضل، وكذلك إن كان الغالب على العبد المعصية، فالخوف أفضل»(١٧٨).

وقال النووي -رحمه الله-: «اعلم أن المختار للعبد في حال صحته أن يكون خائفًا راجيًا، ويكون خوفه ورجاؤه سواء، وفي حال المرض يمحّض الرجاء، وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة وغير ذلك متظاهرة على ذلك»(١٧٩).

وقد اشتمل القرآن الكريم على صور متنوعة للترغيب؛ فمن ذلك:

١- الترغيب بذكر أحوال المؤمنين بالجنة: قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة/٢٥].

٢- الترغيب بالدعوة إلى التوبة والاستغفار: قال تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة/١١٢].

٣- الترغيب ببيان سعة رحمة الله تعالى لعباده: قال تعالى: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر/٤٩].

كما اشتمل القرآن الكريم على صور متنوعة للترهيب؛ فمن ذلك:

١- الترهيب بذكر أهوال يوم القيامة: قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ [الحج/٢].

٢- الترهيب بشدة الحساب ودقته: قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا﴾ [الكهف/٤٩].

٣- الترهيب ببيان الخسارة في الدنيا والعذاب في الآخرة: قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [آل عمران/١٢].

مما سبق يتبين لنا أهمية تطبيق أسلوب الترغيب والترهيب في الدعوة إلى الله ﷻ، فأسلوب الترغيب مبدأ دعوة الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، وأكثرها ملاءمة لنفوس المدعوين وطبائعهم، وأسلوب الترهيب يغرس الخوف من غضب الله ﷻ وعقابه العاجل والآجل في النفوس؛ لكي يحملها على اتقائه بتجنب ما يسخط الله ﷻ، والقيام بالطاعة التي ينال العبد بها مرضاته.

المطلب السادس

أهمية القصص

القصة هي «كلام حسن في لفظه ومعناه، مشتمل على أحداث حقيقية سابقة، ومتضمن على ما يهدي إلى الدين ويرشد إلى الأخلاق»(١٨٠).

وقيل: هي: «الإخبار عن أحداث حقيقة سابقة، بكلام حسن الألفاظ، صِيغ بأسلوب بديع مشوق جذاب، وقد احتوى على العبر والحكم والعجائب، يهدي السامع بسحره إلى الدين ويرشد إلى الخير وفضائل الأعمال»(١٨١).

ويُعدُّ أسلوب القصص من أقرب الأساليب الدعوية إلى فطرة الإنسان، وأكثر العوامل النفسية تأثيرًا فيه، وقد أكَّد القرآن الكريم على بيان أهمية القصص، وأنها مما تثب القلب وتقوي اليقين. قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود/١٢٠]. قال السعدي: «أي: قلبك ليطمئن ويثبت ويصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن النفوس تأنس بالاقتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتأيد الحق بذكر شواهده، وكثرة من قام به»(١٨٢).

وقد اشتمل القرآن الكريم على أحسن القصص، وذلك لصدقها وسلاسة عبارتها ورونق معانيها. قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف/٣].

وقصَّ على نبيه ﷺ أحسن القصص وأصدقه. قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه/٩٩].

ومقصد هذه القصص هو ذكر أخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم، وللتحذير من مساويهم، وفي خلالها تعليم(١٨٣).

والناظر في القرآن الكريم بتأمل، يجد أنه حوى «العديد من القصص التي توضح حقيقة الدعوة الصحيحة، وما ينبغي أن تقوم عليه من توحيد الله تعالى، وإفراده بالعبادة دون سواه، وامتثال أمره واجتناب نهيه، وكذا ما ينبغي من متابعة

رسوله ﷺ والالتزام بهديه وسنته، وغير ذلك من الأمور المهمة، والفوائد العظيمة التي يجنيها الداعية من قصص القرآن الكريم، وكل ذلك بكلام واضح، ولغة فصيحة، ودليل معجز»[١٨٤].

فقصص القرآن أصدق القصص وذلك لتمام مطابقتها على الواقع، وأحسن القصص وذلك لاشتمالها على أعلى درجات الكمال في البلاغة وجلال المعنى، وأنفع القصص، وذلك لقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاق[١٨٥].

وقد «أبصر أهل العلم أن ليس الغرض من سوقها قاصرًا على حصول العبرة والموعظة مما تضمنته القصة من عواقب الخير أو الشر، ولا على حصول التنويه بأصحاب تلك القصص في عناية الله بهم أو التشويه بأصحابها فيما لقوه من غضب الله عليهم، كما تقف عنده أفهام القانعين بظواهر الأشياء وأوائلها، بل الغرض من ذلك أسمى وأجل. إن في تلك القصص لعبرًا جمة وفوائد للأمة، ولذلك نرى القرآن يأخذ من كل قصة أشرف مواضيعها ويعرض عما عداه؛ ليكون تعرضه للقصص منزهًا عن قصد التفكه بها، من أجل ذلك كله لم تأت القصص في القرآن متتالية متعاقبة في سورة أو سور كما يكون كتاب تاريخ، بل كانت مفرقة موزعة على مقامات تناسبها؛ لأن معظم الفوائد الحاصلة منها لها علاقة بذلك التوزيع، هو ذكر وموعظة لأهل الدين فهو بالخطابة أشبه. وللقرآن أسلوب خاص هو الأسلوب المعبر عنه بالتذكير وبالذكر.. فكان أسلوبه قاضيًا للوطرين وكان أجل من أسلوب القصاصين في سوق القصص لمجرد معرفتها؛ لأن سوقها في مناسباتها يكسبها صفتين: صفة البرهان وصفة التبيان، ونجد من مميزات قصص القرآن نسج نظمها على أسلوب الإيجاز ليكون شبهها بالتذكير أقوى من شبهها بالقصص»[١٨٦].

وتعتبر القصة من أكثر أساليب الدعوة فعالية وأقواها تأثيرًا، خاصَّةً في باب الترغيب والترهيب، وهي وسيلة مشوّقة للكبار والصغار، فهي من طرق البشارة والنذارة والهداية، تحدث الأثر البالغ في النفس مع الشعور بالمتعة، فهي تجذب النفوس، وتؤثر في القلوب، ولهذا كثر الاعتماد على القصة في القرآن

الكريم، وتفاوتت القصص في القرآن من حيث الطول والقصر، وهي في كل مرة تقع في القمة من البلاغة والأسلوب البياني، وقد أمر الله تعالى نبيَّه ﷺ بالدعوة من خلال القصص، قال تعالى: ﴿**فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الأعراف/١٧٦].

قال الشيخ ابن عثيمين[١٨٧] -رحمه الله-: «وللقصص في القرآن حكم كثيرة عظيمة منها:

١- بيان حكمة الله تعالى فيما تضمنته هذه القصص..

٢- بيان عدله تعالى بعقوبة المكذبين..

٣- بيان فضله تعالى بمثوبة المؤمنين..

٤- تسلية النبي ﷺ عما أصابه من المكذبين له..

٥- ترغيب المؤمنين في الإيمان بالثبات عليه والازدياد منه، إذ علموا نجاة المؤمنين السابقين، وانتصار من أمروا بالجهاد..

٦- تحذير الكافرين من الاستمرار في كفرهم..

٧- إثبات رسالة النبي ﷺ، فإن أخبار الأمم السابقة لا يعلمها إلا الله ﷻ»[١٨٨].

فالداعية «يحرص على التأسي بأسلوب القرآن في إيراد القصص في مجال الدعوة والبلاغ، فيعتني في مجال دعوته بهذا الأسلوب الناجع المفيد، مركزًا على الدروس المستفادة من تلك القصص والعبر المستخلصة منها، كذلك يسعى إلى اتباع المحكم من آيات التنزيل العزيز، وعدم الخوض في المتشابه منها، وألا يفكك النصوص القرآنية ويجزئها تجزئة تضيع معالمها، وتتداخل معانيها، فلا يتحقق الغرض من إيرادها والاستدلال بها»[١٨٩].

الخاتمة

تناول هذا البحث «**أساليب القرآن في الدعوة إلى توحيد الألوهية وتطبيقاتها المعاصرة**»، ومن المعلوم بالضرورة أن لكل عمل نتائج وثمرات في نهايته، وقد توصلتُ إلى عدد من النتائج البحثية أثناء عملي، أريد أن أسجلها

في النقاط التالية:

النتائج:

١- انتهى البحث إلى أن القرآن الكريم استخدم أساليب متعددة في دعوة المشركين إلى توحيد الألوهية، وأقام عليهم الحجة البالغة بالآيات البينات، والدلائل الواضحات على أن الله تعالى هو المستحق للعبادة وحده دون ما سواه.

٢- أثبت البحث بطلان ما عليه المشركون من الشرك بالله تعالى في الألوهية، فإنه لا مستند لهم في إشراكهم بالله غيره من دليل سمعي ولا عقلي، بل الأدلة كلها السمعية والعقلية على خلاف افترائهم وزعمهم، فالذي خلق هو الذي يُعبد، وهو الذي يشكر على ما أنعم، وهو الآمر الناهي فيلتزم أمره ونهيه.

٣- ناقش البحث التطبيقات المعاصرة لهذه الأساليب، وكيفية توظيف هذه الأساليب في الدعوة إلى توحيد الألوهية في الواقع المعاصر، وذلك باستخدام أساليب إيقاظ الفطرة والتفكر والتدبر والحوار والقصص والترغيب والترهيب، ونحوها من الأساليب المتنوعة.

التوصيات:

١- يوصي البحث الدعاة والعلماء وطلبة العلم بضرورة تبيان معنى توحيد الألوهية ومفهومه وأدلته وأهميته في حياة الفرد والأسرة والمجتمع؛ وتدريسه في حلقات العلم، ومناهج المدارس، وقاعات الجامعات؛ إبلاغًا للدعوة، وإقامة للحجة على المخالفين.

٢- يلفت البحث إلى أهمية ربط الدراسات التأصيلية والنظرية في مفهوم توحيد الألوهية بواقع الحياة العملي، وتدريب النشء على أهمية هذا التوحيد وتطبيقه في مختلف أنواع الأنشطة اليومية.

٣- ينبه البحث إلى أهمية استعمال الأساليب القرآنية في دعوة الخلق كافة إلى الإقرار لله تعالى بالوحدانية في ألوهيته، وصرف جميع أنواع العبادة إليه وحده دون غيره؛ لأنه المستحق لذلك دون سواه.

فهرس المصادر والمراجع

١- أوثق عرى الإيمان من كتاب مجموع الرسائل، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق د. الوليد بن عبدالرحمن بن محمد آل فريان.

٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٣- البدر الطالع: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار المعرفة، بيروت.

٤- البراهين العقلية على وحدانية الرب ووجوه كماله: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٩هـ.

٥- التوضيحاتُ الكاشفاتُ على كشفِ الشُبَهاتِ، د .محمد بن عبد الله بن صالح الهبدان

٦- القواعد الحسان لتفسير القرآن: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٧- المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي دار الهداية للطباعة والنشر والترجمة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م.

٨- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٩- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض

١٠- تيسير الكريم الرحمن: السعدي.

١١- حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد: محمد بن عبد الله زربان الغامدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

١٢- درء تعارض العقل والنقل: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

١٣- دعوة إبراهيم عليه السلام في القرآن، محمد عبد العزيز الخضيري، موقع صيد الفوائد.

١٤- رسالة الشرك ومظاهره: مبارك بن محمد الميلي، دار الراية، الرياض، ط١ ١٤٢٢هـ،.

١٥- زاد المسير في علم التفسير: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٦- سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، مؤسسة الرسالة، ببيروت، ط٩، ١٤١٣ه، ١٩٩٣م.

١٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية: محمد بن علي الشوكاني، دار الوفاء، ط٢، ١٤١٨هـ.

١٨- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم، دار الشروق ـ القاهرة.

١٩- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور، دار صابر، بيروت، ط١، والقاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم

العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
٢٠- مدارج السالكين: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
٢١- معجم المؤلفين: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٢- مقال عبد العزيز بن باز في بيان حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، موقع ابن باز.
٢٣- مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
٢٤- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣،
٢٥- منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام: د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

الهوامش والإحالات :

(١) انظر: **رسالة التوحيد المسمى بـ«تقوية الإيمان»**: إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي، (ص ٥٠).
(٢) هو حسين بن غنّام النجدي الأحسائي: مؤرخ. مالكي المذهب، شاعر فحل كان عالم الأحساء في عصره. ولد ونشأ في المبرّز بالأحساء، وأقام بالدرعية عاصمة آل سعود الأولى وتوفي بها. له مصنفات، منها: العقد الثمين في شرح أصول الدين، وروضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام، ويسمى أيضًا تاريخ نجد. انظر: **الأعلام**: الزركلي، (٢/٢٥١).

(٣) **روضة الأفكار والافهام، لمرتاد حال الإمام، وتعداد غزوات ذوي الإسلام**: حسين بن غنام، (١/ ٧٨).

(٤) انظر: **مواجهات من أجل التوحيد**: محمد صالح المنجد، (ص ٥).

(٥) هو العلامة شمس الدّين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن حريز الزّرعي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قيم الجوزية، ولد سنة (٦٩١)، تفقه في المذهب، وبرع وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدين وأخذ عنه. وتفنن في علوم الإِسلام. توفي سنة (٧٥١). انظر: **ذيل طبقات الحنابلة**: ابن رجب الحنبلي، (١٧٠/٥)، **وشذرات الذهب في أخبار من ذهب**: ابن العماد الحنبلي، (٢٨٧/٨).

(٦) **مدارج السالكين**: ابن قيم الجوزية، (٤١٨/٣).

(٧) انظر: **لسان العرب**: ابن منظور، (٤٧٣/١)، **والقاموس المحيط**: الفيروز آبادي، (ص ٩٨)، مادة (س ل ب).

(٨) انظر: **مناهل العرفان في علوم القرآن**: محمد عبد العظيم الزرقاني، (٣٠٣/٢).

(٩) انظر: **مقاييس اللغة**: ابن فارس، (٩٠/٦)، **ولسان العرب**: ابن منظور، (٤٤٦/٣) مادة (و ح د).

(١٠) انظر: لسان العرب: ابن منظور، (٤٦٧/١٣)، ومقاييس اللغة: ابن فارس، (١٢٧/١). مادة (أ ل ه).

(١١) **مجموع الفتاوى**: ابن تيمية، (١٤٩/١٠).

(١٢) **أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة**: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، (ص ١٩).

(١٣) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي تقي الدين أبو العباس. الإمام الفقيه، المجتهد المحدث، الحافظ المفسر، الأصولي الزاهد. ولد سنة إحدى وستين وستمائة. وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة. له تصانيف كثيرة بلغت الثلاثمائة. انظر: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**: ابن حجر العسقلاني، (١٦٨/١)، **والوافي بالوفيات**: صلاح الدين الصفدي، (١١/٧).

(١٤) **درء تعارض العقل والنقل**: ابن تيمية، (٢٢٤/١).

(١٥) انظر: **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، (ص ١٧).

(١٦) **درء تعارض العقل والنقل**: ابن تيمية، (٢٢٤/١).

(١٧) الاستلزام: أن يكون الشيء مقتضيًا لشيء آخر بحيث يكون هذا الآخر نتيجة حتمية

للأول. انظر: **المصطلحات العلمية في شرح الطحاوية**: د.محمد الخميس، (ص٨٠).

(١٨) هو: صدر الدين محمد بن علاء الدين بن أبي العز الحنفي، ولد في سنة (٧٣١هـ)، اشتغل بالعلم والتعليم ومن مؤلفاته: شرح الطحاوية، توفي سنة (٧٩٢هـ). انظر: **الدرر الكامنة**: ابن حجر، (٨٧/٣).

(١٩) **شرح العقيدة الطحاوية**: ابن أبي العز الحنفي، (٨٦/١).

(٢٠) انظر: **التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته على الاتفاق والتفرد**: ابن مَنْدَه، (١١٣/١).

(٢١) **شرح العقيدة الطحاوية**: ابن أبي العز، (٨٨/١).

(٢٢) هو القرشي الهاشمي، أبو عبد الله المدني، مولى عبد الله بن عباس. وثقه العجلي, وابن معين, وأبو حاتم, وجرحه مالك ويحيى بن سعيد. وقال ابن عدي: ولم يمتنع الأئمة من الرواية عنه, وأصحاب الصحاح أدخلوا أحاديثه إذا روى عنه ثقة في صحاحهم, وهو أشهر من أن يحتاج أن أجرح حديثًا من حديثه, وهو لا بأس به. وقال ابن حجر: ثقة ثبت عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر, ولا تثبت عنه بدعة. توفي سنة (١٠٤). ينظر: **الجرح والتعديل**: ابن أبي حاتم، (٨/٧)، و**تهذيب الكمال**: أبو الحجاج المزي، (٢٦٤/٢٠)، و**تقريب التهذيب**: ابن حجر العسقلاني، (٣٩٧/٢).

(٢٣) أخرجه عنه ابن جرير في **جامع البيان في تأويل القرآن**: ابن جرير الطبري، (٣٦٩/١).

(٢٤) هو الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ولد سنة (١٣٢٥هـ)، له مؤلفات نفيسة تدل على سعة علمه واطلاعه، من أشهرها: «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، و«آداب البحث والمناظرة»، توفي سنة (١٣٩٣هـ). انظر: **الأعلام**: الزركلي، (٤٥/٦)، و**موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية**: المغراوي، (١/١٠).

(٢٥) **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**: الشنقيطي، (٢١٣/٧).

(٢٦) انظر: **جامع البيان**: الطبري، (١٦١/٧/٥)، و**تيسير الكريم الرحمن**: السعدي، (ص ٢٥٢).

(٢٧) **الجامع الصحيح**: محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ معلقًا. ووصله ابن جرير في **جامع البيان** (٢٨٦/١٦)، وصححه في **فتح الباري**: ابن حجر، (٥٠٣/١٣).

(٢٨) أخرجه عنه ابن جرير في **جامع البيان** (٢٨٦/٨١٦)، وحسنه ابن حجر في **فتح الباري**

(٥٠٣/١٣)، وحسن كذلك ما نقل عن سعيد بن جبير، وصحح ما نقل عن مجاهد وعطاء كذلك في **فتح الباري** (٥٠٣/١٣) وأقوال هؤلاء كلها في **جامع البيان**: الطبري (٢٨٦/١٦، ٢٨٧)، وأخرج كذلك عن عامر، وقتادة، والضحاك، وابن زيد، نحو ما تقدم.

(٢٩) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطَّبَرِيّ، ولد سنة (٢٢٤هـ)، صاحب المؤلفات النافعة ومن أبرزها التفسير، توفي سنة (٣١٠هـ). انظر: **تاريخ الإسلام**: الذهبي، (١٦٠/٧).

(٣٠) **جامع البيان**: الطبري، (٢٨/١٩).

(٣١) **جامع البيان**: الطبري، (٤٨٣/١٩).

(٣٢) **الجامع الصحيح**: البخاري، كتاب التفسير، باب: تفسير سورة والطور، (١٨٣٩/٤) (ح ٤٥٧٣).

(٣٣) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن درع القرشي الأموي البصروي الشيخ عماد الدين المعروف بابن كثير صاحب التفسير والتاريخ. ولد سنة (٧٠١هـ)، تناقل الناس تصانيفه في حياته، وتوفي سنة (٧٧٤هـ). انظر: **ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد**: أبو الطيب المكي، (٤٧١/١)، **والأعلام**: الزركلي، (٣٢٠/١).

(٣٤) **تفسير القرآن العظيم**: ابن كثير، (٤٣٧/٧).

(٣٥) هو العالم العلامة المؤلف اللغوي، الأديب المصلح أبو المعالي السيد محمود شكري ابن السيد عبد الله بن السيد محمود شهاب الدين الألوسي، ولد (١٢٧٣هـ)، صاحب المؤلفات النافعة الكثيرة، مثل شرح مسائل الجاهلية، توفي سنة (١٣٤٢هـ). انظر: **مشاهير علماء نجد وغيرهم**: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، **والأعلام**: الزركلي، (١٧٢/٧).

(٣٦) **جهود علماء الحنيفة في إبطال عقائد القبورية**: أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني، (٢١٧/١).

(٣٧) هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السَّعْدي التميمي: مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد. مولده سنة (١٣٠٧) في عنيزة بالقصيم، له نحو (٣٠) كتابًا، وكانت له عناية كبيرة بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، توفي سنة (١٣٧٦هـ). انظر: **الأعلام**: الزركلي، (٣٤٠/٣)، **وموسوعة مواقف السلف في العقيدة والتربية**: المغراوي، (٣٢٧/٩).

(٣٨) **تيسير الكريم الرحمن**: السعدي، (ص ١٢٤).

(٣٩) المرجع السابق، (ص ١٣٢).

(٤٠) انظر: **حماية الرسول ﷺ حمى التوحيد**: محمد بن عبد الله زربان الغامدي، (ص ٢٤١).

(٤١) انظر: **حماية الرسول ﷺ حمى التوحيد**: الغامدي، (ص ٢٤٣).

(٤٢) انظر: **جامع البيان**: الطبري، (١٨/١٨١).

(٤٣) **تفسير القرآن العظيم**: ابن كثير، (٦/٩٣).

(٤٤) **جامع البيان**: الطبري، (١٨/١٨٠).

(٤٥) **أضواء البيان**: الشنقيطي، (٣/٢١).

(٤٦) انظر: **جامع البيان**: الطبري، (٩/١٥/١٠٣)، و**تفسير القرآن العظيم**: ابن كثير، (٣/٤٦)، و**أضواء البيان**: الشنقيطي، (٣/٥٩٨، ٥٩٩).

(٤٧) انظر: **جامع البيان**: الطبري، (١٢/٢٢/٨٨-٨٩).

(٤٨) **الصواعق المرسلة**: ابن قيم الجوزية، (٢/٤٦١، ٤٦٢).

(٤٩) **السنن**: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، (٤/٦٦٧)، (ح ٢٥١٦). وصححه في **صحيح الجامع**: الألباني، (ح ٧٩٥٧).

(٥٠) هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي الدمشقي الحنبلي، الشيخ المحدث الحافظ الشهير بابن رجب. ولد ببغداد سنة (٧٠٦هـ)، أحد الأئمة الزهاد والعلماء العباد، مهر في فنون الحديث أسماء ورجالًا، وعللًا وطرقًا واطلاعًا على معانيه، توفي سنة (٧٩٥هـ). انظر: **ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد**: أبو الطيب المكي، (٢/٧٢)، و**موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية**: المغراوي، (٨/٤٣٦).

(٥١) **جامع العلوم والحكم**: ابن رجب الحنبلي، (١/٤٨٤، ٤٨٥).

(٥٢) **التفسير القيم**: ابن قيم الجوزية، (ص ٣٨٥).

(٥٣) **تفسير القرآن العظيم**: ابن كثير، (٦/٥٤١).

(٥٤) **تيسير الكريم الرحمن**: السعدي، (ص ٧٢٥).

(٥٥) **أضواء البيان**: الشنقيطي، (٣/٢٩٥).

(٥٦) **التفسير القيم**: ابن القيم، (ص ٢٥٣).

(٥٧) انظر: **رسالة الشرك ومظاهره**: مبارك بن محمد الميلي، (ص ١٢٣).

(٥٨) انظر: **البراهين العقلية على وحدانية الرب ووجوه كماله**: عبد الرحمن بن ناصر

السعدي، (ص ٢٨).

(٥٩) **أضواء البيان**: الشنقيطي، (٣/٦١٤، ٦١٥).

(٦٠) هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ولد سنة (١١٧٣هـ) بهجرة شوكان باليمن، له: نيل الأوطار، والدر النضيد، وفتح القدير، وإرشاد الفحول، توفي سنة (١٢٥٠هـ). انظر: **البدر الطالع**: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، (٢/٢١٤)، و**معجم المؤلفين**: عمر بن رضا كحالة، (١١/٥٣).

(٦١) **فتح القدير**: الشوكاني، (٢/٤٣٥).

(٦٢) **تيسير الكريم الرحمن**: السعدي، (ص ٤٦٢، ٤٦٣).

(٦٣) هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، العلامة فخر الدين أبو عبد الله القرشي البكري التيمي الطبرستاني الأصل الرازي الشافعي المفسر المتكلم صاحب التصانيف، وأوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، ولد سنة (٥٤٤هـ)، وتوفي سنة (٦٠٦هـ). انظر: **تاريخ الإسلام**: الذهبي، (١٣/١٣٧)، و**الأعلام**: الزركلي، (٦/٣١٣).

(٦٤) **مفاتيح الغيب**: الرازي، (١٣/١٨).

(٦٥) **تيسير الكريم الرحمن**: السعدي، (ص ٦٥٢).

(٦٦) **جامع البيان**: الطبري، (٢٠/٦٠).

(٦٧) **تفسير القرآن العظيم**: ابن كثير، (٦/٢٩٤، ٢٩٥).

(٦٨) هو عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد اللّٰه بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي. أسلم عام الفتح، وخرج إلى المدينة، ثم إلى قتال أهل الردّة، ووجّهه أبو بكر الصديق إلى جيش نعمان، فظهر عليهم، ثم إلى اليمن ثم رجع، فخرج إلى الجهاد عام وفاته فاستشهد. انظر: **الإصابة في تمييز الصحابة**: ابن حجر العسقلاني، (٤/٤٤٣).

(٦٩) هو سعد بن مالك بن أهيب ويقال له ابن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشيّ الزهريّ، أبو إسحاق، بن أبي وقاص: أحد العشرة وآخرهم موتًا. وكان أحد الفرسان، وهو أول من رمى بسهم في سبيل اللّٰه، وهو أحد الستة أهل الشورى. مات سنة (٥٦ هـ). انظر: **الإصابة في تمييز الصحابة**: ابن حجر، (٣/٦١، ٦٢).

(٧٠) **المجتبى من السنن**: أحمد بن شعيب النسائي، كتاب: تحريم الدم، باب: الحكم في

المرتد، (٧/١٠٥)، (ح ٤٠٦٧)، وصححه الألباني في **صحيح الجامع** (ح ٢٤٢٦).

(٧١) **تيسير الكريم الرحمن**: السعدي، (ص ٤٤٢).

(٧٢) انظر: **منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام**: د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، (ص ٤٣٣-٤٣٥).

(٧٣) **تيسير الكريم الرحمن**: السعدي، (ص ٦٠٧، ٦٠٨).

(٧٤) انظر: **منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام**: الرحيلي، (ص ٤١٣، ٤١٤).

(٧٥) انظر: **الجامع لأحكام القرآن**: القرطبي، (١٢/١٤٦).

(٧٦) **جامع البيان**: الطبري، (١١/٢٨٧، ٢٨٨).

(٧٧) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن الجوزي الحنبلي الواعظ، صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم والتفسير والحديث والفقه والحديث والفقه وغير ذلك. ولد سنة (٥٠٨هـ)، وتوفي سنة (٥٩٧هـ) ينظر: **تاريخ الإسلام**: الذهبي، (١٢/١١٠٠).

(٧٨) **زاد المسير في علم التفسير**: جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، (٣/٣٩٠).

(٧٩) **تيسير الكريم الرحمن**: السعدي، (ص ٦٢٢).

(٨٠) **تفسير القرآن العظيم**: ابن كثير، (٦/٢٧١، ٢٧٢).

(٨١) **تيسير الكريم الرحمن**: السعدي، (٣٦٢).

(٨٢) **مفاتيح الغيب**: الرازي، (١٩/٨٤).

(٨٣) **تفسير القرآن العظيم**: ابن كثير، (٥/٢٦١).

(٨٤) انظر: **الصواعق المرسلة**: ابن القيم، (٢/٤٦٥).

(٨٥) انظر: **جامع البيان**: الطبري، (١٣/٢٦/٢-٣).

(٨٦) هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي، كان إمامًا في التفسير مقدمًا فيه على كل من أخذ عن ابن عباس رضي الله عنهما، توفي سنة (١٠٢هـ) تقريبًا. انظر: **سير أعلام النبلاء**: الذهبي، (٤/٤٤٩).

(٨٧) رواه عنه ابن جرير في تفسيره **جامع البيان** (١١/٢٠/١٠٥).

(٨٨) **تيسير الكريم الرحمن**: السعدي، (ص ٥٢١).

(٨٩) **زاد المسير**: ابن الجوزي، (٢/٢٧٤).

(٩٠) **تيسير الكريم الرحمن**: السعدي، (ص ٥٦٠، ٥٦١).

(٩١) **مفاتيح الغيب**: الرازي، (٥٦/٢٢).

(٩٢) **جامع البيان**: الطبري، (٦١٤/١٩).

(٩٣) **تيسير الكريم الرحمن**: السعدي، (ص ٦٢٣).

(٩٤) **جامع البيان**: الطبري، (٣٦١/١٩).

(٩٥) **تيسير الكريم الرحمن**: السعدي، (ص ٥٣١).

(٩٦) **جامع البيان**: الطبري، (٥٠٧/١٩).

(٩٧) **تيسير الكريم الرحمن**: السعدي، (ص ٧٣٩).

(٩٨) انظر: **منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام**: الرحيلي، (٥٢٩/١).

(٩٩) انظر: **منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام**: الرحيلي، (٥٣٣/١، ٥٣٤).

(١٠٠) **تيسير الكريم الرحمن**: السعدي، (ص ٢٦٥).

(١٠١) المثل: هو النظير والمشابهة. انظر: **لسان العرب**: ابن منظور، (٦١٠/١١).

(١٠٢) **القواعد الحسان لتفسير القرآن**: السعدي، (ص ٦٤).

(١٠٣) **إعلام الموقعين عن رب العالمين**: ابن قيم الجوزية، (١٨٣/١).

(١٠٤) **تيسير الكريم الرحمن**: السعدي، (ص ٤٢٥).

(١٠٥) انظر: **جامع البيان**: الطبري، (٨/١٤/١٥٠-١٥١)، و**معالم التنزيل**: البغوي، (٣٣/٥).

(١٠٦) انظر: **معالم التنزيل**: البغوي (١١٨/٧)، و**جامع البيان**: الطبري، (٢١٣/٢٣/١٢).

(١٠٧) انظر: **مدارج السالكين**: ابن القيم، (٤٥٣/٣).

(١٠٨) **مجموع الفتاوى**: ابن تيمية، (٦٨١/١١، ٦٨٢).

(١٠٩) **إعلام الموقعين**: ابن القيم، (١٢٣/١).

(١١٠) **تيسير الكريم الرحمن**: السعدي، (ص ٨١).

(١١١) **الأمثال في القرآن**: ابن قيم الجوزية، (ص ١٣، ١٤).

(١١٢) **تفسير القرآن العظيم**: ابن كثير، (٣٣٠/٣).

(١١٣) **جامع البيان**: الطبري، (٢٩١/١٥).

(١١٤) **الأمثال في القرآن الكريم**: ابن القيم، (ص ٣٤، ٣٥).

(١١٥) انظر: **أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم**: د. حمود بن أحمد الرحيلي، (ص ٩٩).

(١١٦) انظر: **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**: ابن قيم الجوزية، (ص ٢٩٨).

(١١٧) انظر: **المفيد في مهمات التوحيد**: عبد القادر بن محمد عطا صوفي، (ص ١١٥).

(١١٨) **مدارج السالكين**: ابن قيم الجوزية، (٣٥٣/١).

(١١٩) انظر: **مجموع الفتاوى**: ابن تيمية، (٢٣٧/١٠)، و**بدائع الفوائد**: ابن قيم الجوزية، (٢/٣).

(١٢٠) انظر: **مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية**: عثمان جمعة ضميرية، (ص ٣١٨).

(١٢١) **تيسير الكريم الرحمن**: السعدي، (ص ٣٧٤، ٣٧٥).

(١٢٢) **جامع البيان**: الطبري، (١١٦/٢١، ١١٧).

(١٢٣) **الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة**: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، (ص ١٨٩).

(١٢٤) انظر: **أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة**: نخبة من العلماء، (ص ٦٢).

(١٢٥) انظر: **المفيد في مهمات التوحيد**: عبد القادر صوفي، (ص ١٢٠).

(١٢٦) **الجواب الكافي**: ابن قيم الجوزية، (ص ٣١٢، ٣١٢).

(١٢٧) **الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة**: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، (ص ١٩٠).

(١٢٨) **جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف**: عبد العزيز ين صالح بن إبراهيم الطويان، (١٩٥/١).

(١٢٩) انظر: **الجواب الكافي**: ابن قيم الجوزية، (ص ٣٠٤).

(١٣٠) انظر: **جلاء الأفهام**: ابن قيم الجوزية، (ص ٣٩٢).

(١٣١) انظر: **روح المعاني**: الألوسي، (٤٣٢/١).

(١٣٢) **الجامع الصحيح**: البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: الحراسة في الغزو في سبيل الله، (١٠٥٧/٣) (ح ٢٧٣٠).

(١٣٣) هو محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير: مجتهد، من بيت الإمامة في اليمن. يلقب المؤيد بالله ابن المتوكل على الله. أصيب بمحن كثيرة من الجهلاء والعوام. له نحو مائة مؤلف، ولد بمدينة كحلان سنة (١٠٩٩هـ)، ونشأ وتوفي بصنعاء سنة (١١٨٢هـ). انظر: **الأعلام**: الزركلي، (٣٨/٦).

(١٣٤) **سبل السلام**: الصنعاني، (٦٤٤/٢، ٦٤٥).

(١٣٥) انظر: **المفيد في مهمات التوحيد**: عبد القادر صوفي، (ص ١٢١).
(١٣٦) **أضواء البيان**: الشنقيطي، (٣/٢٥٩).
(١٣٧) **تيسير الكريم الرحمن**: السعدي، (ص ٢٧٠).
(١٣٨) هو فضيلة الشيخ د/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، من آل فوزان من أهل الشماسية، الوداعين من قبيلة الدواسر، ولد عام ١٣٦٣ هـ، عضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، وعضو هيئة كبار العلماء. ينظر: موقع الإفتاء التابع للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية (***http://www.alifta.com***).
(١٣٩) **شرح الأصول الثلاثة**: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، (ص ٣٠٤، ٣٠٥).
(١٤٠) **التبيان في أقسام القرآن**: ابن قيم الجوزية، (ص ٤٣٠، ٤٣١).
(١٤١) انظر: **لسان العرب**: ابن منظور، (٥/٥٥)، و**القاموس المحيط**: الفيروزآبادي، (ص ٤٥٧)، و**مقاييس اللغة**: ابن فارس، (٤/٥١٠).
(١٤٢) **الكليات**: الكفوي، (ص ٦٩٧).
(١٤٣) **التعريفات**: الجرجاني، (ص ١٦٨).
(١٤٤) **معجم لغة الفقهاء**: محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، (ص ٣٤٨).
(١٤٥) **مفهوم الفطرة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي**: عبد الله زايد محمد البيشي، (ص ٢٠) بتصرف.
(١٤٦) انظر: **مباحث العقيدة في سورة الزمر**: ناصر بن علي عايض حسن الشيخ، (ص ٧١٤).
(١٤٧) **الجامع الصحيح**: البخاري، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، (١/٤٥٦)، (ح ١٢٩٢)، و**الصحيح**: مسلم بن الحجاج، كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، (٤/٢٠٤٧)، (ح ٢٦٥٨).
(١٤٨) انظر: **عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك**: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، (ص ٢١).
(١٤٩) **الصحيح**: مسلم بن الحجاج، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، (٤/٢١٩٧)، (ح ٢٨٦٥).
(١٥٠) **مفاتيح الغيب**: الرازي، (١٧/٢٣٢، ٢٣٣).

(١٥١) انظر: **الدعوة إلى الله**: د.توفيق الواعي، (ص ٨٥).

(١٥٢) انظر: **التحرير والتنوير**: ابن عاشور (٣٠١/٢).

(١٥٣) انظر: **مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية**: عثمان جمعة ضميرية، (ص ٣٨٩، ٣٩٠).

(١٥٤) المراد بالتفكر: هو أن ينظر الإنسان في الشيء على وجه العبرة والعظة؛ لتقوية جوانب الخير والصلاح، ومقاومة دواعي الشر والفساد. انظر: **موسوعة أخلاق القرآن**: الشرباصي، (٢٢٦/١).

(١٥٥) المراد بالنظر: هو تقليب البصر وتوجيهه إلى جهة المنظور، فهو بمعنى الرؤية، ثم يستعمل في تقليب البصيرة فيكون بمعنى التفكر. انظر: **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**: أحمد بن يوسف السمين الحلبي، (١٩٣/٤).

(١٥٦) **الفوائد**: ابن قيم الجوزية، (ص ٢٠).

(١٥٧) **الدعوة إلى الله تعالى**: د.عبد الرب نواب الدين آل نواب، (ص ٣٣٧).

(١٥٨) **تفسير القرآن العظيم**: ابن كثير، (٢٤٢/٣).

(١٥٩) **الدعوة إلى الله**: أ.د. عبد الرب نواب الدين، (ص ٣٤١) بتصرف .

(١٦٠) **مجموع الفتاوى**: ابن تيمية، (٦٥٠/٧).

(١٦١) انظر: **تفسير القرآن العظيم**: ابن كثير، (٤٠٩/٣)، و**تيسير الكريم الرحمن**: السعدي، (ص ٧٥٢)، و**الدعوة إلى الله**: أ.د. عبد الرب نواب الدين، (ص ٣٣٥).

(١٦٢) **جامع البيان**: الطبري، (١٧٥/١١).

(١٦٣) **كتاب التوحيد المسمى بـ «التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد»**: عمر العرباوي الحملاوي، (ص ١٧٨).

(١٦٤) **مفتاح دار السعادة**: ابن قيم الجوزية، (١٨٨/١).

(١٦٥) **مجموع الفتاوى**: ابن تيمية، (٤٣٦/١٦، ٤٣٧).

(١٦٦) **الجواب الكافي**: ابن قيم الجوزية، (ص ١٧١).

(١٦٧) انظر: **الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**: يحي زمزمي، (ص ٢٢).

(١٦٨) انظر: **الكليات**: الكفوي، (١٧٢/٢).

(١٦٩) انظر: **أصول الحوار**، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (ص ٩).

(١٧٠) انظر: **دراسات في علوم القرآن**: الدكتور زاهر الألمعي، (ص ١٠٤).

(١٧١) **روح المعاني**: الألوسي، (٤٨٧/٧).

(١٧٢) انظر: **مناهج الجدل في القرآن**: د. زاهر عواض الألمعي، (٢/٧٧١).

(١٧٣) انظر: **أصول الدعوة**: د. عبد الكريم زيدان، (ص ٤٣٧)، **وأصول التربية الإسلامية وأساليبها**: د. عبد الرحمن النحلاوي، (ص٢٥٧).

(١٧٤) **وسائل الدعوة**: عبد الرحيم بن محمد المغذوي، (ص ١٩٤، ١٩٥).

(١٧٥) **مدارج السالكين**: ابن القيم، (١/٤٤٤).

(١٧٦) **تيسير الكريم الرحمن**: السعدي، (ص ٤٣٢).

(١٧٧) **تفسير القرآن العظيم**: ابن كثير، (٢/٢٠١).

(١٧٨) **إحياء علوم الدين**: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، (٤/١٦٤).

(١٧٩) **رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين**: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، (ص ١٠٢).

(١٨٠) **الدعوة الإسلامية**: د.أحمد غلوش، (ص ٢٨٨) .

(١٨١) **أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية**: زياد العاني، (ص٤٦٠).

(١٨٢) **تيسير الكريم الرحمن**: السعدي، (ص ٣٩٢).

(١٨٣) انظر: **التحرير والتنوير**: ابن عاشور، (١/٤١).

(١٨٤) **وسائل الدعوة**: المغذوي، (ص١٣٠)

(١٨٥) انظر: **أصول في التفسير**: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، (ص ٥٠).

(١٨٦) **التحرير والتنوير**: ابن عاشور، (١/٦٤، ٦٥).

(١٨٧) هو محمد بن صالح بن محمد عثيمين المقبل الوهيبي التميمي، ولد سنة (١٣٤٧هـ)، عمل أستاذًا في كلية الشريعة بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في منطقة القصيم، وعضو هيئة كبار العلماء، وقد زادت آثار الشيخ العلمية على خمسة وخمسين مؤلفًا، وقد اختير بعضها مقررات في المعاهد العلمية بالمملكة العربية السعودية، توفي سنة (١٤٢١هـ). ينظر للموقع الرسمي للشيخ ابن عثيمين: ***www.ibnothaimeen.com*** .

(١٨٨) **أصول في التفسير**: ابن عثيمين، (ص ٥٠، ٥١) بتصرف.

(١٨٩) **بحوث ندوة الدعوة في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله، مجموع أبحاث**: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.